

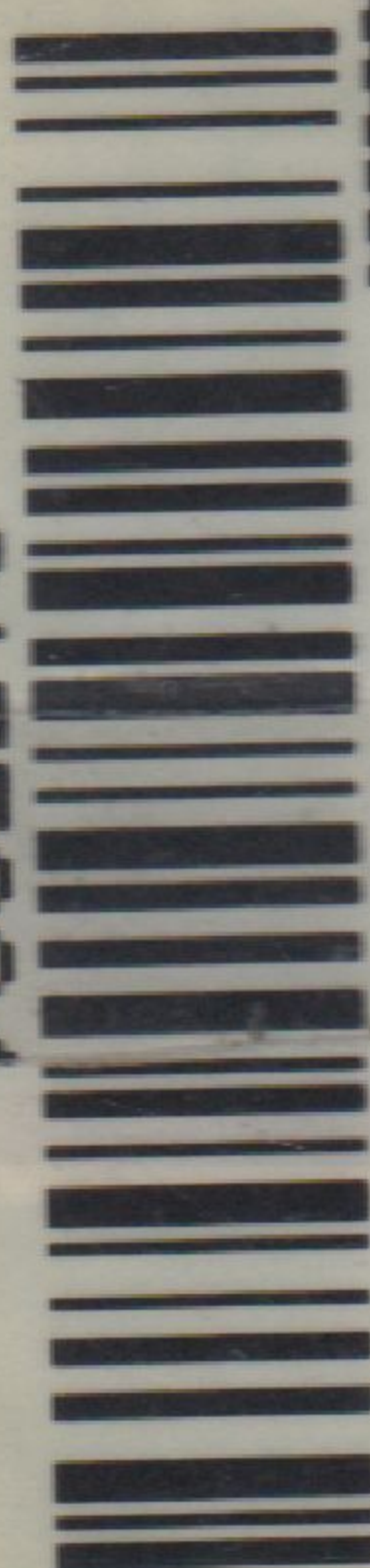
المكتبة الثقافية

# موقف الإسلام من الفنون

محمد عبد الواحد عجاوي



Bibliotheca Alexandrina



0135024





الكتبة الثقافية

٣٨٠

فتاوى الإسلام من القمرون

عبد الواسع جبار



مكتبة النهضة العربية للنشر

١٩٨٤



# مقدمة

## الفن الاسلامى رسالة عالمية

منذ بداية الانقلاب الصناعى الذى حدث فى أوربا فى القرن التاسع عشر والعالم يسير بخطا واسعة بل ويقفز قفزات خطيرة فى ميادين العلم والكشوف والاختراعات . . وكذلك فى مجالات الصناعة والتجارة . . وأخذت الكشوف والاختراعات العلمية فى اندفاعها العنيف السريع الذى لم يتوقف ولن يتوقف ، حتى أصبح العالم اليوم وهو يعيش عصرا من الازدهار الصناعى والعلمى لم يسبق . . عصر من العصور السابقة أو لأية أمة من أمم الحضارات الشامخة أن شهدت نظيره من قبل . .

وانه لعصر حقق فيه الانسان باختراعاته ما لم يكن يحلم به أو يتخيله أو تصوره له أساطير الجن وشطحات آلهة الوثنية .

لقد حقق الانسان باختراعاته وكشوفه أساليب  
وآلات وأدوات زادت من رخائه ورفاهيته بل وأطالت من  
عمره فهو يعيش اليوم عمرا أطول ممن سبقوه ويستمتع  
بالدنيا ويعمرها أكثر مما عمرها واستمتع بها من سبقوه  
.. لقد أثارت فيه - أى الكشوف العلمية والاختراعات  
الحديثة - الرغبة الحادة والأمل المتحرر من كل قيد فى  
أن يشبع رغباته الى أقصى ما يستطيع - ولو هلك فى  
سبيلها - وأن يتطلع الى المستقبل الى أقصى ما تثيره رغباته  
من شطحات وخيالات .

فهل كان لكل ذلك أثره فى حياة الانسان فيكون  
عصرا من ازدهار الأمن والطمأنينة والسلام والرخاء لشعوب  
العالمين التى طالما شقيت بالحروب أو أشقأها زعماءها  
وقادتها بالحروب ؟

لقد عاش العالم حربين عالميتين ( ١٩١٤ - ١٩٣٩ ) .  
كانتا وبالا عليه وعلى ما شادته الشعوب وأنشأته من  
حضارات لها أفكارها وثقافتها وأخلاقياتها .. ولها أمانيتها  
فى اليوم والغد والحياة بأسرها .

كانتا وبالا عليه وإن كانت الثانية أشدهما هولا  
وأخطرها نذيرا للبشرية ومستقبلها بسبب الأسلحة  
الحديثة التى بلغت رعب تطورها فى القنبلة الذرية تلك  
التى وضعت خاتمة الحرب العالمية الثانية وحسمت الموقف  
نهائيا .

واذا كانت النزعة الاستعمارية التي خلقتها وسعرت  
ضراوتها الكشف الجغرافية العلمية والانقلاب الصناعي ،  
من الأسباب الرئيسية للحربين العالميتين ، الا أن هذه  
النزعة في ذاتها كانت محنة العالم كله : للمستعمرين  
وشعوبهم .. وللشعوب التي غلبها الاستعمار على أمرها  
ورصد مقوماتها الاقتصادية وثرواتها الطبيعية لخدمة  
أهدافه التي كان يؤامر دائما على تنفيذها بتسلي سبل التآمر  
 وأنواع التخريب .

كانت محنة للشعوب الأوروبية ذاتها لأن نزعة  
حكوماتها الى المغامرة الاستعمارية وان حققت ثراء وقوة  
ورخاء ونهضة علمية ، الا أنه بسبب التنافس الانتحاري  
بينها وجدت الشعوب نفسها وقد جند شبابها واقتصادها  
وكل مقومات حضارتها أو مدنيته لخوض الحربين  
العالميتين .

ولئن كانت للحكومات حجتها في دفع شعوبها الى  
خوض الحرب العالمية الثانية بسبب العقيدة العنصرية  
الاستعمارية التي دبرها النازي وأعدّها لغزو العالم كله  
واخضاعه لسيطرته أودكتاتوريته الرهيبة الا أن ذلك  
لا يمنعنا من أن نقرر أن النزعة الاستعمارية التي سرت  
عدواها وتفشت بلواها بين الدول الأوروبية كانت علة شقاء  
شعوبها لخوضها غمار معاركها الشرسة كما كانت علة  
شقتها من جانب لا يقل عن المعارك العسكرية شراسة

وخطرا . . ذلك أن التماسك الاجتماعى الذى كان يتميز به المجتمع الغربى بدأ يهتز ويترنح ، ومن ثم كان أن حدث تفسخ وتمزق بين عناصر البناء بسبب ما شاع فيه من تدهور وانحلال بدرجة أصبحت تهدده بالضياع .

وعلى ذلك يمكننا أن نقول : انه بسبب الحرب العالمية الثانية وما جرى فيها وما انتهت اليه ، بدأت الشعوب بأجيالها تفقد الثقة فى ميراثها من القيم الأخلاقية والتقاليد الاجتماعية ، وتفقد كذلك ثقتها فى الدين من ناحية أهدافه ووسائله . . يضاف الى ذلك محنة النظم السياسية الأوربية العتيدة فيما كان لها من حق آلهى متوارث كانت له أصداءه وتقاليده الراسخة فى البناء الاجتماعى للشعوب الأوربية فان ما أصيبت به تلك النظم من جراء الحروب التى شنتها الدول على بعضها البعض مما غير كثيرا من الخريطة السياسية لأوربا . . ومن قبل هذا بسبب الهزة العنيفة التى أصابتها جميعا من الثورة الفرنسية ، تلك الهزة التى كانت لها أصداءها العميقة فى نفوس الحاكمين والمحكومين على حد سواء .

كان لذلك كله انطباعاته وآثاره فى نفوس المجتمعات الأوربية على اختلاف حظوظها من الثقافة والفكر والمرتبة الاجتماعية والتقاليد التى تتمسك بها وتحترمها ، آثاره من حيث موقف هذه المجتمعات من التقاليد الاجتماعية

والقيم الأخلاقية التي ارتفعت في ضميرها وسلوكها الى حد  
التقديس .

وكذلك من حيث نظرتها الى حاضرها الذي تقاسيه  
ونظرتها الى المستقبل الذي يحيرها ويخيفها في آن واحد ،  
وان كانت تتمنى أن يكون خيرا من ماضيها .

وفي العدو الأخرى كان الشرق الماجد العتيد يعاني  
من الاستعمار أشد ضروب القهر والاستغلال والاستعباد  
.. تلك التي مارسها الدول الغربية تظاهرها جيوشها  
وتمهد لها بالمؤامرات والدعاوى الملفقة .. كانت الدول  
الاستعمارية تضرب بتلك الأسلحة المتنوعة شعوب الشرق  
لتتمكن من احكام خططها في استنزاف خيراتها وثرواتها  
واستنزاف قواها بما يوهن ارادتها ويحطم قدرتها فلا يبقى  
لها أمل في التخلص من الأغلال التي قيدتها .

**ومن ثم فان الأمم الشرقية التي وطئها الاستعمار  
الغربي كانت تعاني محنة ذات ثلاث شعب :**

١ - محنة احتلال أرضها

٢ - محنة الوصاية على مستقبلها الحضارى

٣ - محنة الفتنة الأخلاقية التي أوقعها فيها الغرب  
بما نقله اليها اما مباشرة أو غير مباشرة من الأساليب



المعاشية ومن الأساليب الفكرية والثقافية التي تخالف ثقافة تلك الشعوب وفكرها مخالفة أخلاقية .

فهي من ثم بذور أفساد وتضليل وانحلال وأن غلفت في أردية من المنطق الذي أن لم يغر بالاقناع والأخذ بما يشير فلا أقل من أنه يوقع المستمعين إليه والمشاهدين له في بلية الشك وإساءة الظن بترائهم الأخلاقي من حيث قيمته وجدواه في الحياة .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية ظهرت الانتفاضات التحررية بين الشعوب الشرقية فقامت بثوراتها لتتحرر من السيطرة الاستعمارية وتستقل بإرادتها وحريتها في وطنها وعلى أرضها فتصبح مقاليد ومصيره بيدها وحدها . . ولم يكن من السهل على تلك الشعوب الثائرة التي نجحت ثوراتها أن تحتفظ باستقلالها السياسي والاقتصادي خالصا من تدخل الدول الاستعمارية . . ولكنها اصطدمت بابتلاء جديد ، هو ابتلاء مقاومة التآمر الاستعماري الذي أخذ يتزيا بأزياء سياسية جديدة ويختلق من المبررات ما يمكنه من أن يعيد سيطرته أو تدخله في شئون هذا الشعب أو ذاك ولو من بعيد . .

فان لم يستطع فالمؤامرات كفيلة ببث بذور الفتنة والشقاق بين قادة الأمة وزعمائها وبين طبقات الشعب



وطوائفة مما قد يمكنه من أن يعيد الأمة الى دائرة فلكه  
الاستعماري ..

وفي خضم تلك الصراعات الدولية والعالمية من ثورات  
شعبية وأفكار تحررية ومذاهب سياسية وعقائدية جديدة  
.. وما واكب ذلك من تفجر العلم التطبيقي بفيض من  
الاختراعات والانشاءات الصناعية في كافة مجالات الشراهر  
الحضارية أن أصبح العالم كله اليوم يعيش حربا جديدة  
- وان لم تعلن فتكون عالمية - هي حرب المذاهب  
الاجتماعية ، أو حرب الأيدولوجيات - والجديد في هذه  
الحرب أنها تصطنع من الفكر الانساني والقيم الانسانية،  
كما تصطنع من التآمر وبث فتن الصراعات الاجتماعية  
وذلك بتأليب طبقة على طبقة أو طائفة على طائفة أو زعامة  
على زعامة ، أسلحة استعمارية حديثة تبسط لها سيطرتها  
على شعب أو مجموعة من الشعوب بدعوى المناصرة  
السياسية أو المناصرة الاقتصادية أو المحافظة على المصالح  
الاستراتيجية .. أن تستعين في حربها بأحدث الأسلحة  
وأشدّها فتكا من أجل مناصرة رجالها وشد أسيرهم ثم  
تحقيق أهدافها من خلالهم عندما تضعهم في قمة السلطة  
المتحركة ..

وكانت النتيجة لكل تلك الصراعات أن نشبت في  
نفس الانسان - وفي البناء الاجتماعي بالضرورة - فتنة  
كبرى اذ فقدت المبادئ الاخلاقية سواء آكانت دينية أم



اجتماعية ، وهي التي تكفل الاستقرار النفسى للأفراد والجماعات ثقلها وقيمتها فى الضمير .. ومن هنا فقد أصبح الانسان يعتقد أن من حقه أن يترك نفسه على سجيته وحريتها فيطلق لنزعاته الحرية فى أن تفعل ما تشاء وتشتهى ما تشاء .. ولقد وقر فى نفسه أنه بسلوكه هذا لا يعبر عن هوى طارىء أو نزعة جامحة ولكنه - وهنا موطن الخطر - يعبر بعمله وفكره وتفضيله عن ثورة أخلاقية أصيلة من حقها الذى لا يستطيع أن يمارى فيه أحد أن تثبت وجودها وأن تؤكد حقها فى الحياة بالوسيلة التى تجد أنها أكثر تعبيراً وأسرع تحقيقاً لما تهدف اليه وتتوخاه .

ومما سبق يمكننا أن نلخص العلل التى كانت السبب فى اضرار وتسعير الثورة على القيم الأخلاقية والاجتماعية وزيادة عنفها على الوجه الآتى :

**أولاً :** الازدهار الصناعى متمثلاً فى مخترعات الترف والمتعة التى نوعت فى أساليب فنون التعبير عن نزعات الانسان ونزواته وعن قلقه وحيرته .

**ثانياً :** التخطيط الصهيونى الشيوعى الاستعماري ( الصليبي ) ، لافساد الشباب جسمياً ونفسياً وعقائدياً وفكرياً بواجهات عقائدية تحريرية جند لها كل الوسائل التعبيرية من فنون وثقافات ..



**ثالثا :** اخفاق السياسة التربوية فى تنشئة جيل مقتنع بالقيم الأخلاقية والانسانية والاجتماعية ومن ثم فقد أخفقت هذه فى مواكبة ومؤازرة الازدهار الحضارى الحديث وأخفقت بالتالى فى تلبية تطلعات الشباب الشاثر النافر ..

**رابعا :** عدم التزام قادة الأمم وزعمائها بتلك القيم ، ولعل الحروب المحلية التى أصبحت تشن أو تتفجر فى بقاع متفرقات من الأرض وما يمهد لها به أو ما يصحبها من دعايات المذاهب الاجتماعية والسياسية التى تزيف الحقائق على الشعوب والعالم كله ..  
لعلها أوضح دليل وأكبر دليل على ذلك ..

وبين صخب الازدهار الصناعى وما أبدعه من وسائل الترف وبواعث المتعة ..

ووسط ضجيج الحروب المتفجرة وقصفها القاتم الرعيب ..

ومن خلال الأصوات الشائرة على الخارجين على التقاليد والآداب المحمودة ...

وكذلك من خلال أصوات أولئك المحتجين الشاثرين على البالى العتيق من القيم الأخلاقية والتقاليد الاجتماعية ..



من خلال ذلك الرهج الثائر المختلط حتى أن المرء أصبح وهو لا يستطيع أن يميز بين الصواب والخطأ ، وبين الهدى والضلال فبذلك تخرج دلالة واحدة أو تساقول واحدة وكأن الجميع ينطق به في لحظة واحدة .. وهو :

لماذا الاحتجاج ؟

لماذا الاحتجاج على الأخذ بأسباب الحياة الحديثة وما فيها من متعة ونعيم ؟

لماذا الاحتجاج على القيم الحديثة والسلوك الحديث الذي نجسده أو يتجسد لنا في الفنسون .. التي هي اليسوم خير تعبير عما في صدورنا من آمال وأحلام ، والتي هي أنضر تعبير وأجمله وأعمقه عن حريتنا وارادتنا ودوافعنا الحرة ؟

فان قيل لهم : نحن لا نعيب عليكم أخذكم بفنون المتعة والتسلية التي تعمق الحياة في النفوس والتي تعين الانسان على الحياة .. ليس احتجاجنا على الفنون في ذاتها أو عليكم في ذاتكم ، ولكن على ما تقدمه الفنون .. ان ما تقدمه هو في جملة حرام ، حرام لا يخدمكم لو أحسنتم النظر وأصبتكم في التقدير ولا يخدم مجتمعاتكم ولا الناس أجمعين لو نظرتهم نظرة أشمل وأوسع ..

وربما كان جوابهم : فماذا نفعل وهذا هو ما يقدم لنا ويعرض علينا ؟



هلا خاطبتهم وعاتبتم وزجرتهم أولئك الذين يؤلفون  
ويقدمون ؟

هلا بصد نموهم بما هو حلال وما هو حرام ؟

هلا وضعتهم لهم المعايير أو الموازين التي يضبطون  
بها فنونهم ويراقبونها مراقبة ذاتية عند الإبداع والانشاء  
ومراقبة موضوعية العرض والتقديم ؟

ان التشريب علينا فى كل شىء ليس من الحكمة فى  
شىء ..

**وما كان المسلمون بعيدين عن هذه الفتنة ، بل كانت**  
أوطانهم هى موطن الابتلاء والحن التى قصدها الاستعمار  
بجيوشه وثقافته وقصصاتها الصهيونية والشيوعية  
بتآمرها ومكائدها لاضعاف قوة المسلمين وإزالة وجودهم ..  
ولذلك فاننا نجد الأصدقاء التى ذكرناها متمثلة فى المجتمع  
الإسلامى تتجاوب بها أركانه من أقصاه الى أقصاه ..  
وهى الاجترأ على القيم الأخلاقية وفقدان الثقة فيها ..  
والاقبال فى نهم شهوانى على الفنون لا سيما تلك التى  
تشبع فيهم نزعاتهم الفطرية .. وتكون بما تعرضه خير  
تعبير عن نفوس ثائرة وخائرة معا ..

انهم يثورون فى تهجم واجترأ على المحتجين عليهم  
باسم الدين أو المبادئ الأخلاقية وكأنهم فى احتجاجهم



واجترائهم يقولون : اقنعونا فنيا بما يبصرنا بالحلال  
والحرام .. وقدموا لنا النمنون وهي ملتزمة بمعايير الحلال  
والحرام .. راقبوا فنونكم قبل أن تراقبونا .. وزنوا  
أعمالكم قبل أن تزنها علينا ، بشرط ألا تميتوا في  
نفوسنا فطرة الحياة ..

ومن هنا فأننا نخطيء غاية الخطأ اذا اصطنعنا من  
مبادئ الاسلام أسلحة دفاعية فحسب ندفع بها عنه تهمة  
انكاره للفنون وتعطيله أو مهاجمته لها .. ولكن ينبغي  
أن يكون عملنا ابداع وخلق « فن اسلامي » ، تتجسد فيه  
حيوية الاسلام من حيث محتواه ومضمونه لا أن يكون  
مجرد واجهة تزيينية كتلك التي تميز العمائر الاسلامية .

**ولذلك فانه لأساس جوهري لابداع فن اسلامي أن  
يكون العمل فيه على مراعاة مبدئين ضروريين وهما :**

**أولا :** أن الاسلام رسالة انسانية عالمية فلا بد من أن  
تتسامى فنونه الى المستوى العالمى لاسيما وأن  
الحننة عالمية ، يقول سبحانه : « كنتم خير أمة  
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر  
وتؤمنون بالله » ( ١١٠ سورة آل عمران ) .

**ثانيا :** أن الأمة الاسلامية هي أمة الريادة العثمانية  
والفكرية والانسانية للبشرية كلها .. وانها لريادة  
لا تعرف الجموح أو التطرف الغرائضى .. ولا تعرف



التعالى التعصبى العقيم .. ولكنها قصد السبيل  
.. فعلى الفنون الاسلامية اذن أن ترتفع الى مستوى  
الريادة المعتدلة فى تصوير القيم الانسانية وتصوير  
أشواق الفطرة وآمال الانسان وآلامه ؛ يقول  
سبحانه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا  
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »  
(سورة البقرة) ..

وبناء على هذين المبدأين فإنه يجب لانشاء فن  
اسلامى أن يكون محققا وملتزما فى ابداءه بقيمتين  
اسلاميتين انسانييتين وهما :

- ١ - تبين أوجه الحلال وأوجه الحرام .
- ٢ - تحديد الموازين التى تحكم الرقابة الذاتية فى حالة  
الابداع الفنى والرقابة الموضوعية فى حالة صناعة  
الأثر الفنى واخراجه .

وهاتان القيمتان هما اللتان جعلناهما مدخلا لانشاء  
فن اسلامى .. فحسانا أن نكون قد وفقنا فى الاختيار  
والعرض ..

هدانا الله جميعا سواء السبيل

محمد عبد الواحد حجازى





## الفصل الأول

الحلال والحرام  
فى عالم الفن





## الاحساس بالجمال .. مدخل الفنون

الانسان عقيدة .. سيان عند العقل والوجدان .

فالعقيدة هي التي تعطي الانسان مقومات شخصيته  
والوعى الذى به تحقق الشخصية كيانها معبرة عن غايتها  
من الوجود وغايتها فى الوجود ..

وعلى هذا فاننى أعتقد أن العقائد تتفاضل بمقدار  
ما فيها من شمول قوى متفتح لكل شأن من شئون الناس  
مهما تخالفت الأزمان والمراتب والأوطان . فالعقيدة التي  
تعطي الفطرة الانسانية حقها فى كل نواحي الحياة ، غير  
العقيدة التي تحجر على الفطرة فتصدها صدا زريا أو  
عسوفاً يذل ويوهن ولا يورث غير الخنوع والصدوف عن  
الحياة الدنيا ، فتلك عقيدة قاصرة متعسفة وان أخرجت  
من روائع العبقرية ما تزدهى به على الزمان .

فالعبرة بما تعطي العقيدة للانسان : فى الفكر  
ومجالات التفكير والتأمل .. فى العمل ومجالات العمل



ومشكلات العاملين .. فى شواغل الوجدان وما يريجه  
ويسعده ويخفف عنه . .

اذا وجدت العقيدة التى تفيض على الانسان بهذا  
الفيض العميم وتعطيه استقرارا و يقينا ونفسا راضية  
مستبشرة ، فهى العقيدة التى تخلق الاحساس بالجمال  
خلقا فى نفس الانسان .. وهى العقيدة التى تخلق الوعي  
بالحلال والحرام خلقا فى ضمير الانسان وكأنه فطرة  
أصلية فيه ..

وانها لعقيدة التوحيد التى جاء بها القرآن المجيد .  
وان كلمة التوحيد اذ تأخذ بيد البصيرة الانسانية  
تهديها الصراط المستقيم انما تأخذ بيدها الى مجال الحق  
والخير والجمال : فى السماء والأرض والنفس .. انها  
- أى كلمة التوحيد - تربية للذوق والوعي على الاحساس  
بكل ما هو جميل موقن بسبب الأفئدة ويفتن النواظر :  
وانها أيضا تثبيت للارادة باليقين الثابت بعد اجتياز  
ابتلاء الفتنة والتمحيص ؛ قال تعالى : « انا جعلنا ما على  
الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » ( ٧ سورة  
الكهف ) ..

ان التجربة التى يدخل الاسلام فيها الانسان تجربة  
فريدة فى نوعها .. انه يستجيش احساسه بالجمال  
ليعيش مع الوجود لحظات من التأمل والتقرب والأنس  
لكى يأتس بعدها بربه الكريم .

ان التجربة الاسلامية هي تجربة التذوق الجمالى  
فى أعلى صوره وأسمائها جميعا . . . انها تنادى الانسان  
أن يحيا فكرا واحساسا فى زينة مع الزينة والجمال والفن  
عملا بقوله ، وتسبيحا بحمده ودعاء لرحمته .

ومن خلال الفكر والاحساس والعمل والتسبيح  
والدعاء يتكون الضمير الذى يفرق بين الحلال والحرام فى  
عالم الجمال والفن . . فيسفر له طريق الحق نهجا لاعوج  
فيه ولا أمتا . . ولكنه الهدى والرشاد والتوفيق  
والسداد . .

يقول سبحانه : « زين للناس حب الشهوات من  
النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة  
والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا  
والله عنده حسن المآب » ( ١٤ سورة آل عمران ) . .

فى هذه الآية الكريمة تجتمع أهواء النفس ورغباتها  
فى ثلاث رئيسية يتفرع عليها جل الرغائب البشرية بعد  
ذلك ، وهى : المرأة ، الولد ، والمال . .

وقد أتت بها الآية الكريمة على هذا النسق المعجز  
الذى يكشف حقيقة الدوافع الفطرية . . فهى تبدأ بكلمة :  
« زين » وبناء هذه الكلمة للمجهول يؤكد أمورا ثلاثة هى :

أولا : أن الزينة قدر من الله .



**ثانيا : أنها راسخة في سواء الكيان البشرى .**

**ثالثا : أنها أساس الاحساس بالجمال الذى هو أساس الابداع فى الفنون .**

ذلك أن التزيين هو التجميل فى الاحساس الذاتى للفرد . . أى أن الاحساس بالجمال قد هبىء فى الطبيعة البشرية فاذا أحست فانما تحس عن جمال لأنها تنشده ابتداء . . واذا رأت فانما تتوق الى أن يقع البصر على ما يشبع الشعور الباطنى الغامر .

**ثم تأتى : « الناس » ، لتقرر أن التزيين انما خلق للبشرية كلها فالناس سواء فى الاحساس الفطرى بالجمال فليس فيه طبقية ولا عنصرية ولا احتكار . .**

وعلى هذا المنهاج جاءت تربية القرآن لوجدان الانسان تربية على الاحساس بالجمال وتكوين الاستعداد الفطرى للابداع فى الفنون . .

**ومن مجالات تربية الاحساس بالجمال مجال الأسرة :**

فالاسلام حين أمر بالزواج وامتدحه وحض عليه لم ينس هوى النفوس وحبها الفطرى للجمال . . فشىء طبيعى أن يحب الرجل المرأة ؛ ولكنه يفضل الجميلة ولهذا فان الاسلام استحب أن ينظر الى المرأة ليعرف ما اذا كان يحس فى طلعتها اقبالا وشوقا أم لا ؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أوقع الله فى نفس أحدكم من

**امراة فليَنظر اليها فانه اُحرى أن يؤدم بينهما » ، أى  
يؤلف بينهما ..**

ويعطى رسول الله للجمال حقه فيقول : « خير  
النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا » .

فالإسلام حريص على توفير طلبية الفطرة .. ولكنه  
حريص أيضا على ألا يكون الجمال وحده هو الغاية ؛ لأنه  
إذا كان جمال المرأة هو وحده العروة التى تربط بين  
الزوجين فإن كيان الأسرة يكون عرضة لأعاصير شتى  
تهده بالتقوض والدثور .. فللجمال الجسدى دلالة  
المدل بذاته ، فحتى لا ينقلب الى نزوة جسدية خالصة فإن  
الإسلام يعلو به بما يهذبه ويزكيه ..

ولا يهذبه ويزكيه سوى التمسك بالدين والاهتداء  
به ؛ يقول صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة لجمالها  
فلعل جمالها يردبها ، ولا لآلها فلعل مالها يطغيها وانكح  
المرأة لدينها » .

أما من ناحية « الجمال الشخصى » كما يقال عادة  
فإن الإسلام يربى المسلم على مراعاة نظافته ووجاهته  
ومظاهر جماله ، قال تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم  
عند كل مسجد » ( ٣١ سورة الأعراف ) ..

ولقد كان عليه السلام بهيا فى طلعتة ، جميلا فى  
شمائله ، جميلا فى هيئته وزينته لا ارضاء لمطالب الجسد  
وأشواق النفس ، ولكن هكذا يجب أن يكون المسلم دائما



لا يحيا الا فى جمال ولا يحس الا باحساس الجمال ولا يرى  
الناس منه غير ما هو جميل تعبدا وتقربا لرب الجمال ..

**روى مكحول عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :**  
« كان نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم وفى الدار كوة فيها ماء  
فجعل ينظر الى الماء ويسوى لحيته وشعره .. فقلت :  
يا رسول الله وأنت تفعل هذا ؟ قال : نعم ، اذا خرج  
الرجل الى اخوانه فليهيئ من نفسه فان الله جميل يحب  
الجمال .. »

والاسلام فى نظرتة الى جمال المرأة لا يحرمها من  
متعها فى الحياة ؛ فهو يرخص لها فى اطار الفطرة التى  
خلقت عليها ولكنه لا يترخص معها ولا مع الرجل فيما  
للفطرة من حقوق .. انه يعطيها حاجتها فى أناة وتمهل  
وحذب .. ويعلمها كيف تأخذ الحياة مأخذ الجد وكيف  
تتناول الحياة تناول القدرة القادرة الملتزمة بأعباء  
المسئولية ؛ يقول سبحانه : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن  
تبرج الجاهلية الأولى وأقم الصلاة وآتين الزكاة وأطعن  
الله ورسوله » ( سورة الأحزاب ) ..

فالتبرج مباح غير محظور الا أن يكون كتبرج  
الجاهلية فيه تخرج الزينة عن حدودها وتصبح تهتكاً  
ومجونا وخلاعة أقرب الى الانحلال البدئ الذى تستباح  
فيه الحرمات الأخلاقية والاجتماعية ، فلا وازع من ضمير.

أو خلق أو حياء يشور على الضعف والفوضى والاضمحلال .  
ويقدم القرآن منهاجه لتهديب نفس المرأة حتى يكون  
لأحاسيسها الجمالية عمقا راسخا في الوجدان المؤمن  
والعقل البصير . . وانه لتبصرة للنفس من اغواء النفس  
وما قد يعتورها من انطلاق الأهواء ، يقول سبحانه :  
« **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن  
ولا يبدین ذیئتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على  
جیوبهن ولا یبدین ذیئتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناء  
بعولتهن أو أبناءهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنی  
اخوانهن أو بنی أخواتهن أو نسائهن أو ما ملکت أیمانهن  
أو التابعین غیر أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذین لم  
یظهروا على عورات النساء ولا یضربن بأرجلهن لیعلم ما  
یخفین من ذیئتهن وتوبوا الى الله جمیعا ایها المؤمنون لعلکم  
تفلحون** » ( ٣١ سورة النور ) . .

ولتربية الاحساس بجمال الكون فقد أشار القرآن  
الکریم الى زينة السماء كآية من آيات الله ودليل على عظیم  
قدرته وبدیع صنعته فقال سبحانه : « **ولقد زینا السماء  
الدنیا بمصابیح وجعلناها رجوما للشیاطین** » ( ٥ سورة  
الملك وقال سبحانه : « **انا زینا السماء الدنیا بزینة  
الکواکب** » ( ٦ سورة الصافات ) . .

ونجد من الآيتين الكريمتين دلائل الاعجاز القرآنى  
فى البیان والعلم واضحة دقيقة لا تحتاج الى تأویل أو



تمحل من المتأولين . فالسما لا تبدو زينتها نيارا انسا  
تظهر الزينة ليلا . . . ففي الليل تكون السماء متألثة  
بأضوائها المنثورة على صفحاتها في نسق فريد لا يرهق  
البصر ولا يكدر الاحساس طول التأمل فيها بل يكتشف  
بمداومة التطلع أشكالا جمالية جديدة تغذى العقل وترتقى  
بالتأمل . ثم تهبط الى الأرض مسرح الاستخلاص والمكان  
الذي أعدله كل ما يخلق منه موطننا صالحا للانسان . .  
تهبط الى الأرض موطن الجمال الذي تملأه الانسان في  
كل زمان وتغنى به رسما ونظما ولحنا . .

ان الحق سبحانه حين خلق الأرض فقد أغناها بكل  
ما يغنى بصر الانسان متعة بالجمال . . . وبكل ما يشرى  
عقله وخياله وفكره ، بل وبما يغنى جسده من شهوات  
الحياة فقال سبحانه : « انا جعلنا ما على الأرض زينة  
لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » ( ٧ سورة الكهف ) . .

ويقدم القرآن تربية للاحساس بالجمال عند الانسان  
وصورا مما تعمر به الأرض من آفاق الزينة والبهاء ؛ فيقول  
سبحانه : « وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به  
نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا  
ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب  
والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره  
إذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون »  
( ٩٩ سورة الأنعام ) . .

ان القرآن الكريم يعرض آيات الله على الوجدان والخيال ويعرضه على الفكر والعقل . . ويعرضه على اليقين والايمان وهو يعلم حقيقة الفطرة الانسانية في دوافعها وحقيقة الاحساس بالجمال وما ينميه وينقيه . .

وعلى هذا الأساس جاءت تربية القرآن للاحساس بالجمال عند الانسان تربية لم تعرفها مذاهب الفلاسفة ولا طرائق علماء النفس والاجتماع . . فالقرآن يفرق بين المنفعة الخالصة ، قال تعالى : « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع » ( ٥ سورة النحل ) . . وبين الجمال الذي يجده الانسان في المنفعة ؛ قال تعالى : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » ( ٦ سورة النحل ) . .

وليس هذا فحسب فالقرآن يفرق بين النفع والزينة ؛ قال تعالى : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون » ( ٨ سورة النحل ) . . وان في قوله تعالى : « ويخلق ما لا تعلمون » ، تربية للاحساس بالجمال والتذوق الفني وارتفاع فوق الواقع تشوفا الى المستقبل وبذلك لا يضل المرء لأنه قد عصم من أول الأمر بالايمان بالله .

لكن الله سبحانه يعلم أن للفطرة الانسانية ضعفها وتقصيرها وأن الوجود بجماله وزينته كفيل بأن يغريها ، وكفيل بأن يكبلها بملذاته وشهواته ، وأن المصير الانساني



لا يستقيم حضاريا ما لم توجد ضوابط تكفل للدوافع  
الفطرية للانسان الاشباع والامتاع بغير اسفاف أو  
انحلال .. وتكفل للعقل رحابا من العلم يجتنب منها  
ما يشاء بغير أن يفتتن بفتنة الكفران فيقول : « انما  
أوتيته على علم عندي » ( ٧٨ سورة القصص ) ..  
وتكفل للفكر أعلى درجات التأمل واليقن فلا يرتد ارتداد  
الجاهلية التي قالت : « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على  
آثارهم مهتدون » ( ٢٢ سورة الزخرف ) ..

**والضوابط ثلاثة هي :** الايمان بالله ، والعمل  
بشريعته ، والأمل في ثوابه ؛ قال تعالى : « **والباقيات  
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** » ( ٤٦ سورة  
الكهف ) ..

ولهذا جاء القرآن يحذر وينذر من أن يغرق الانسان  
في شهوات الدنيا وزينتها ؛ جاء يحذر بالترهيد وليس  
بالتبغيض فيها أو بالتشويه لما هي عليه من جمال ورونق  
وذلك لأن التشويه والتبغيض يفتحان الباب على مصراعيه  
للسكوك والظنون ويخلقان نفسية قلقة بين الواقع المشهود  
وبين الدعوة الى التبغيض والاستحقار ..

ولهذا جاء الترهيد ضبطا للمشاعر والدوافع ، وحفظا  
لصحة الجسم والنفس ، وكذلك رجاء فيما وعد الله عباده  
الصالحين ، قال تعالى : « **وما هذه الحياة الدنيا الا لهو**

**ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون «**  
**( ٦٤ سورة العنكبوت ) ؛ أى أن الحياة الحققة هى الحياة**  
**فى الدار الآخرة ..**

وهنا يطالب القرآن الانسان أن يحكم عقله وعلمه  
كى يدرك حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة ، ليعلم أى الحياتين  
أبقى وأخلد وأجدر أن يعمل لها .. أما الذين يعيشون  
للحياة الدنيا فان الله لا يبخسهم حقوقهم ولا يضمن عليهم  
بما يشتهون ، ومثل هؤلاء حين نحتكم الى منطق الحضارة  
القويم يسعون بشهواتهم وذلك مما لا تزكو به نفس أو  
تصلح به حياة كما أنه كفىل بأن يهدم ما يشيدون  
ويؤسسون ؛ قال تعالى : **« من كان يريد الحياة الدنيا**  
**وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون «**  
**( ١٥ سورة هود ) ..**

والويل لهم من الله ؛ قال سبحانه : **« الذين اتخذوا**  
**دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما**  
**نسأوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون «**  
**( ٥١ سورة الأعراف ) ..**

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى أن  
الدنيا جميلة حلوة وأن جمالها لا يتم بخير العمل وفق  
شريعة التوحيد فقال عليه السلام : **« ان الدنيا حلوة خضرة**  
**وان الله استعملكم عليها فناظر كيف تعملون « ..**

من أجل هذا حذر عليه السلام المسلمين من أن  
يسلموا عقولهم ونفوسهم لحلاوة الدنيا وزخرفها .. لقد  
حذر عليه السلام من جمالها بغير أن يشوه هذا الجمال  
فقال : « أخوف ما أخاف عليكم مما يخرج لكم من زهرة  
الدنيا قالوا : وما زهرة الدنيا ؟ قال : بركات الأرض » ..

أو يمكننا أن نقول : ان « بركات الأرض » هي  
سبب التناحر بين الأفراد والجماعات والأمم ؟

أو نقول إذن : ان هذا التناحر يشوه من جمال  
الدنيا ويجعلها كالحة بغيضة ؟ نعم ، ولهذا قال عليه  
السلام : « فوالله ما أخشى عليكم الفقر وإنما أخشى عليكم  
أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم  
فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » ..  
وللنجاة من مثل ذلك المصير فان على المسلم أن يجعل هواه  
أو دوافعه الفطرية وشهواته سائرة على شريعة الحق  
سبحانه فذلك من تمام الايمان بالله ؛ قال عليه السلام :  
« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ..

على هذا فان الزهد الذي جاء به القرآن مما لا يشوه  
وجه الحياة الجميل النبيل ، فيه تضبط الأهواء بغير  
ارهاب أو اعنات يوهض النفس ويستدلها ، فهو ضابط  
به تحكم الطاقات في حركتها فلا تندفع اندفاعا أهوج  
حطوما للنفس والمجتمع والعقيدة في الأساس .. وهي



مقياس به تقاس سرعة الطاقات وتقاس به درجة الأعمال  
ومدى أصالتها وصلاحتها للنهوض بالمجتمع فكريا وثقافيا  
واقتصاديا ، وكذلك النهوض بمشاعره ونظرته للحياة ..

فإذا وجدنا من الزاهدين تعنيفا عنيفا للمتهالكين على  
ملذات الحياة فذلك حذب العطوف : فيه قسوة الأبوة  
وصرامة الصداقة المخلصة .. ويجب ألا يؤخذ هذا على  
أنه اعتزال للدنيا وهجر لها أو تشويه لجمالها واستهجان  
لزينتها في الأنظار ؛ إنما هو في نضاره خوف على النفس  
في إيمانها بالله من أن تضيع سحقا في صراعات المادية  
أو تناحرات الاقتصاد ، أو تضيع الحضارة ذاتها تحت  
مطارق الحرب ودواخين الدمار ..

### **وفي القرآن هداية ...**

**وفي كلام رسول الله تأس ...**

**وفي قول الصالحين استلهم ...**

ومما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه  
قال : « إذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في  
الآخرة وبصره بعيوب نفسه » ..

وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه يخشى الدنيا  
ويتوقى فتنتها بالزهد عما فيها من ملذات تستهوى  
وتغوى ؛ فقال : « يا دنيا ، يا دنيا ، اليك عنى .. أبى

تعرضت أم الى تشبوقت . . لاحان حينك هيهات ، غرى  
غيرى ، لا حاجة لى فيك فقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها .  
فعيشك قصير وخطرك يسير وأملك حقير ، آه من قلة الزاد  
وطول الطريق وبعد السفر وعظم المورد » . .

اذن فالتزهد فى الحياة ليس معناه بالضرورة بغض  
الحياة ؛ انه كما قلت ارتفاع عن ملذاتها وحبالات مغرياتها  
الى ما هو أسمى وأجمل تشويه للحياة واقتلاع جذورها  
وتعطيل العمل بها . . ولكن قد تمر بالانسان لحظات من  
التشاؤم قد تطول حتى تشمل عمره كله . . وقد تتسع  
وتتسع فتضم الناس أجمعين . وربما قيل : ان التشاؤم  
عارض نفسى قد يصاب به المرء وقد لا يصاب ومن ثم  
فلا يمكن أن يعد احساسا فطريا فى الانسان . . والحق  
أن التشاؤم فطرة انسانية أساسية لها بواعدها وأهدافها  
الى جانب فطرة التفاؤل . ولو أردنا الدقة فى التشخيص  
والتعبير قلنا ان الفطرة التى خلق عليها الانسان هى  
فطرة الاستبشار والتفاؤل . . وما التشاؤم الا حالة نفسية  
تعتري التفاؤل عندما لا يتحقق ما كان الانسان يأمل  
فيه من امكانيات فيخيل اليه آنذاك أن الوجسود عبث ،  
والعمل فيه عبث والغاية منه وهم قاتل وسراب مضل . .

والقرآن يكشف للانسان عن ذاته ويعرفه حقيقة  
فطرته وأصل خليقته ؛ وفى ذلك تربية لكبريائه ومطامنة  
لغروره وجموح انفعالاته ؛ فيقول سبحانه : « لا يسأم

الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيئوس قنوط «  
( ٤٩ سورة فصلت ) . . ودعاء الخير أمل واستبشار  
وامكانيات يرجى تحقيقها ، وتلك هي فطرة الحياة في  
الانسان . . ولكن من طبيعته أيضا أنه اذا مسه الشر  
بأن لم يتحقق ما كان يصبو اليه فانه يئاس ويقنط ، أي  
يتشائم .

وقد جاء البيان القرآني مصورا لدرجة هذا التشاؤم  
فقال سبحانه : « وان مسه الشر فيئوس قنوط » . .  
وكلمة : « فيئوس لا تدل بصيغتها على شدة اليأس وحدته  
فحسب ، بل كذلك على عمق اليأس وتغلغله في كل شعاب  
النفس حتى يصير وهو المحرك لكل فعل والمعبر عن كل  
قول . . وكذلك القنوط ، انه ادراك استحالة تحقيق  
الامكانية ادراكا هو والشعور بالعدم سواء .

وحين يجتمع اليأس مع القنوط فان ذلك يخلق مرارة  
ناثرة لا تميز بين الخير والشر أو بين النعمة والضر . .  
وبهذه المرارة يهوى الانسان الى الدرك الأسفل من الثورة  
الشائثة وهي ما تعرف عادة باسم التشاؤم . . وذلك في  
حد ذاته لا يخدم قضية الوجود الحضاري التي تركز على  
على الارادة الانسانية التي لابد لها أن تقف من الحاضر  
وقفة حازمة ومن المستقبل وقفة مخاطرة لا تخشى  
ولا تتوجس . . .



ان التشاؤم لا يخدم قضية الانسان فهو لا يعينه على يومه ولا يملأه أملا مفتتحا لغده ، ولا يربطه بأمنه القريب أو أمنه البعيد ربطا حيويا فيه غذاء الأصول والجذور الأولى .

انه - أي التشاؤم - يفسد الوجود ويخلق من الانسان كائنا متمردا على معيشتة وأمنته .. ومما يلاحظ عادة على المتشائمين أن تمردهم قد يجمع ويجمع حتى يصير تمردا على خالق الوجود ذاته .. فان لم يكن ~~تمردا~~ عليه جل شأنه فهو على الأقل تجديف في ظواهر الارادة الالهية .. وبذلك يخلق التشاؤم فكرا شائها واحساسا شائها ينظر الى الوجود فلا يرى غير موت ودمار وبهتان يسير كله الى لا غاية ..

ولكن الاسلام - وهو البصير بحقيقة الفطرة الانسانية - يربي الانسان على الايمان بالله وحده ، وذلك قمين بأن يقيه أوزار التشاؤم وموبقاته ، انه يربيه على أن الأمر كله لله ؛ قال تعالى : « **والى الله ترجع الأمور** » ( ١٠٩ ) **سورة آل عمران** ) ..

ويربيه على تقدير العمل واثقانه نهوضا بالمجتمع وارتقاء بالأمة واضعا نصب عينيه التزامه ومسئوليته أمام الله والرسول والمؤمنين ؛ قال تعالى : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » ( ١٠٥ سورة التوبة ) ..

واذا كان يربيه على تقدير العمل فهو يربيه على حب الحياة ؛ قال تعالى : « **وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيمًا** » ( سورة النساء ) ..

فان أصابته الحياة بشيء من رزاياها فلا يفلن ذلك من عزمه فعزم المؤمن قوى متين ؛ قال تعالى : « **واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور** » ( ١٧ سورة لقمان ) ..

ونفس تربي على هذه الشريعة .. فكيف تكره الحياة وتبتئس بها ؟

ونفس تربي على هذه الشريعة .. فكيف لا تقبل على الحياة بنفس مطمئنة راضية ؟

ونفس تربي على هذه الشريعة هي بلا شك نفس تدرك حلاوة الايمان بالله وتدرك جمال الحياة باحساس لا يزيغ على نفسه ولا يندفع مع أهوائه ، ولا يركن في حماة تقاليده .. ولكنه يسير كما أراده ربه تساميا وعلاء ، هو التعبد الخالص لله سبحانه .

وصفوة الاستمتاع بالحياة - بجمالها وزينتها وطيب رزقها - هو ما جاء به التوحيد في إطار شريعته السمحة ؛ فقال سبحانه : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليه ولا تبغ**

## الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين « ( ٧٧ سورة القصص ) ٠٠

من هذا نقول أن الاحساس بالجمال ليس مجرد  
انفعال سلبي يدل على التمتع أو الترفه ، كما أنه أيضا ليس  
مجرد انفعال ايجابي يؤدي الى فعل ايجابي حيث يعمل  
المرء على الحصول على ما يرضى شهواته من مناعم الحياة  
ومواطن الزينة والجمال ٠٠ وذلك نوع من الايجابية يغير  
شك ولكن ما نود أن نؤكد أنه هو أن للاحساس بالجمال  
تعبيرا هو الابداع الفني أو الخلق الفني بأنواعه وألوانه ،  
وهو من أعمق الدلالات وأظهرها على طبيعة الحضارة  
وروحها وغايتها بل على طبيعة الانسان وروحه وغايته ٠٠

وإذا كان الفن تعبيرا عن الحضارة ينطق بلواعج  
النفوس ويتغنى بأشواقها وآمالها وما ترجوه ٠٠ فهل لنا  
أن نقول أن الفن صدى للحياة وأن العقيدة هي الخالقة  
للحياة ؟

نعم ، وأنه اعتقاد لا يخالفنا ازاءه شك ؛ ولذلك  
ليست العبرة بمقدار ما خلقت العبقرية من آيات الفن  
والجمال ٠٠ وليست الأصالة المبدعة السبابة فيما خلقت  
العبقرية من آيات في الشعر والموسيقى والغناء والتصوير  
والنحت وغيرها « إنما الأصالة في الحياة التي تخلقها  
العقيدة في نفوس الأحياء ٠٠



ان العقيدة هي كل شيء في حياة الانسان وفي حياة  
الكون كله فاذا وجدت العقيدة التي تنظر نظرة صائبة  
صادقة الى الحياة والأحياء في عمومهم وشمولهم .. في أزلهم  
وأبدهم وواقعهم ، لا يضار فيها الفرد ولا تهاض فيها  
الجماعة أو تشقى بها البشرية .. فتلك اذن هي عقيدة  
الوجود أو عقيدة الجمال وان لم تكن قد أنتجت سوى جزء  
من ألف مما أنتجته حضارات سقيمة العقيدة ضائعة  
الغاية ؛ فانها لبالغة ما ترجوه من الحياة على المدى الذي  
تتيحه لها عقيدة الشمول ..

وما كانت عقيدة الشمول سوى الاسلام الحنيف ..

وليس التعبير عن الحياة أصوات شجية فحسب ،  
ولا مجرد أصداء جوفاء تنبعث من فراغ الدعة والاستسلام  
.. وليس كذلك مجرد حلية يتحلى بها الناس استكمالاً  
للوجاهة وحسن الزينة ..

ان التعبير عن الحياة حياة في ذاته وهو لا يكتسب  
حياته الا من المقومات الواقعية لوجوده الانساني ، وهذا  
الذي يكتسبه ليس من ثم نافلة تضاف بل هو منه واليه  
وأعنى بهذا أن التعبير يأتي من التفاعلات الحيوية للناس  
ويرتد اليهم تربية لاحساسهم بالجمال وتركيزه له ..  
بهذا يستطيع التعبير أن يعلم الانسان كيف يجعل من



بعد أن تكون قد انتصرت على كل ظواهر التناقض ومنها  
ظواهر الجمال .. على هذا فالجمال ظاهرة عارضة في  
فلسفة هيغل، وبناء عليه يكون الاحساس بالجمال احساسا  
عارضيا .

ولقد تأثر الفيلسوف الايطالى بندتو كروتشي  
بفلسفة الفكر عند هيغل فهو يرى أن الفكر يبدع آيات  
الجمال عن طريق الحدس Intuition ، مستقلا  
فى ذلك الابداع عما يتحوطه من ظواهر خارجية يستعين  
بها فى عملية الابداع دون أن يكون لها شأن يذكر فى  
الابداع ذاته . فالابداع قائم على الفكر الذى يصيب  
قيمه بالاتساق والوحدة ..

ويرى سانتيانا أن جمال العالم المحسوس هو اللذة  
التي تأتينا أثناء عملية الادراك والفهم التي هي فى حقيقتها  
تمييز وتصنيف لمحتويات الوعي .. وان قيمة ما ندركه  
من موضوعات تأتي مما تخلقه هذه الموضوعات من روابط  
وشائج تربط الانسان بأشياء لا يدركها الحس آنذاك  
.. ويقرر سانتيانا فى هذه النقطة أن الصفة : « التي  
تكتسبها الموضوعات على هذا النحو عن طريق الارتباط  
هى ما نسميه تعبير الموضوع بينما نجد فى حالة الشكل  
أو المادة موضوعا واحدا له تأثيره العاطفى بطبيعة الموضوع  
الثانى أو الموضوع الموحى به .. وهكذا فقد يضفى  
التعبير جمالا على موضوعات لا تثير الأهمية فى ذاتها



وقد يزيد من جمال الموضوعات التي يتحقق فيها الجمال فعلا . ولا يسهل التمييز دائما في الوعي بين التعبير وقيمة المادة أو الشكل وذلك لأن ذكرى الفكرة التي يتضمنها التعبير لا تكون دائما مميزة في أذهاننا . أما حينما تكون هذه الذكرى مميزة كما هو الحال في منظر حديقة ترددنا عليها في الماضي فاننا في هذا نعزو بوضوح وبتلقائية ما نحس به من الانفعالات الى هذه الذكرى وليس الى الواقع المائل الذي تضيفى عليه الذكرى جمالا . .

ويفرق سانتيانا بين أنواع التعبير وفق تأثيراتها الجمالية التي يحصرها في شكلين ، **أولهما : الشكل المفيد** الذي يصير مثلا أعلى أو نموذجا عاما يقاس عليه وتصبح ملامح هذا الشكل بكثرة التعود عليها والاحساس بالحاجة اليها مصدرا للذة في ذاتها . . **وثانيهما : الجمال الزخرفي** ومصدره الحواس المستثارة والخيال المبتعث عن طريق الألوان وتشابك التفاصيل في تناسق دقيقة . . ولما كانت النزعة الأصيلة للعقل هي دائما الميل الى التوحيد فان هذين النوعين أو المصدرين للجمال لا يلبث أن يتغلب أحدهما على الآخر بطريقة : « تؤكد الجوهر الجمالي للشكل بل تزيد من مثالية هذا الشكل » . .

وهذا في أنواع الفنون بعامة . .

أما في اللغة فان المضمون أو المعنى هو لباب الجمال وجوهره . . غير أن المعنى لا يصيب قيمة جمالية تذكر

ولا تكون له آثاره. في النفوس بغير أن يعرض في شكل ما بواسطة الألفاظ . . . ولما كان التطور الفكري للانسان لا يثبت له كيان بغير اللغة ، كانت اللغة هي التعبير الصادق للتجارب الانسانية . . . والحق أن اللغة كما يقول سانتيانا ضرب من الموسيقى : « وما توجده من آثار جميلة انما يرجع الى تركيبها والى كونها تخلع شكلا غير متوقع على التجربة حينما تتبلور في صورة جديدة . . . فطبيعة اللغة التي يتكلمها المرء ومدى براعته فيها لهما أهمية كبرى في تحديد القيمة الجمالية لنتاجه فمهما كانت قوة ملاحظاته وعمق تفكيره واحساسه فلا مندوحة عن أن يشين هذه الأشياء جميعا الأسلوب الرديء وأن يزيد من تأثيرها الأسلوب الجيد » . . .

ولكن ، هل وسائل التعبير أو الفنون بعامة تعبير عن هروب من عالم الواقع وما فيه من صراعات ، أم أن الفنون تعبير عن انطلاق وتحرر ؟

وفي هذا الأمر يختلف القول بين المفكرين . . . فنجون ديوى يرى أن ما بالعالم من صراعات وتناقضات كاف لأن يعطى نظرية : «الهروب» وزنا خاصا . . . وذلك ما ارتآه سييسر حين قال عن الشعر : « انه ليبدو في العالم بمثابة ذلك الفندق اللطيف الذى نلوذ به هربا من الألم وضوضاء الحياة بما فيها من تضجر وملال » . . .



اذن فبالفن يكشف الانسان عن أسرار الجمال في الطبيعة وفي ذاته ، وكان من نتيجة ذلك أن اعتبر الفن : « نوعا من المعرفة الراقية فأصبح ينظر اليه لا على انه يفوق معرفة الحياة العادية فحسب بل ومعرفة العلم نفسه أيضا » . . . **ولقد قال كارليل** : « ان الفن يظهرنا على امتزاج اللامتناهي بالمتناهي وكأنما هو قد أصبح مرثيا أو كأنما هو قد استحال الى شيء يمكن نيله وادراكه هناك . وكل الأعمال الفنية الصادقة انما هي من هذا القبيل فنحن نلاحظ فيها ( بشرط أن نعرف كيف نفرق بين العمل الفني الصادق وبين الانتاج المهوش المصطنع ) أن الأبدية تطل عبر الزمان وكأن الحقيقة الآلهية ذاتها قد أصبحت مرثية » . . .

وقد حظى الفن بحصة كبيرة من تقدير علماء الاجتماع . . . وكأى ظاهرة إنسانية فقد نشبت المعارك حول فردية الفن واجتماعيته ، فعند كوزان وبوجليه : « أن طبيعة الجمال فردية تعتمد على المقدرة الشخصية الخارقة في الابتكار . . . والمهم أن هذه القوة غير منطقية وانما هي قوة شعورية شديدة الحساسية وهي نوع من الادراك المباشر للحقائق يراها الانسان دفعة واحدة دون جدل أو نقاش » . . .

ومن علماء الاجتماع من يقول بالنقيض فالاحساس بالجمال عند الانسان بذرة من بذور الاجتماع تنمو



وتزدهر ثم تؤتى ثمارها التعبيرية التى تشهد فيها لون المجتمع وطبيعته ، فالفن : « فى واقع الأمر - كما يرى « لالو » « ودوركيم » - ظاهرة اجتماعية لاتتعلق بما يجب أن يكون فى عقلية الفنان من النزعات والدوافع والمثـال والغايات وانما يكون فى المجتمع بمعنى أن الفن ظاهرة موجودة فى خارج عقليات الأفراد وقائمة قبل مولدهم وتدهوم بعد وفاتهم . وهذا معناه أن العبقرية فى الفن ليست فردية وانما اجتماعية . بحيث أن الفرد يكون وسيلة للتعبير عن مثل عليا ترسمها له الجماعة ويكون لتجديدها صدى اوجات عامة فى المجتمع . وبغير هذا لا يكون لانتاجه المبتكر قيمة اجتماعية ولا يلقى نجاحا فى المجتمع » ..

وقد عبر عالم الاجتماع « تاين » عن هذا الاتجاه بقوله : « كل انتاج فنى هو فكرة تعبر عن الطبيعة والحياة وسواء عرفها أو جهلها الفنان فهى تقوده وهو يعمل لاجراجها محسوسة ملموسة » ..

## حلال .. وحرام

نخرج مما سبق بحقائق لها أهميتها وخطورتها ..  
أهميتها في أنها تحدد طبيعة تصور النظرة الايمانية للفنون،  
وخطورتها في أنها تعطي ماهية المعيار الذي يجب توافره  
واحكام خصائصه عند قياس درجات الحلال والحرام أو  
التمييز بين الحلال والحرام حتى لا يضل المرء ويشقى ..

**وأول هذه الحقائق :** أن الاحساس بالجمال فطرة  
انسانية وأن التعبير عنه ضرورة انسانية ، بمعنى أن  
الانسان يحس احساسا داخليا ملحا أن حياته لا تكتمل  
ووجوده يفقد الكثير من زوغة معناه بغير التعبير عن  
احساسه بالجمال تعبيرا فنيا ..

**ثانيا :** أن التعبير عن الاحساس بالجمال ليس نافلة  
يمكن الاستغناء عنها أو يجب الاستغناء عنها في بعض  
أطوار الحياة بل هو كما ذكرنا فطرة وضرورة .. ولما  
كان كذلك كان لابد له من أن يكون قادرا على احياء الفطرة  
بغير ابتذال أو قهر .. وأن يكون قادرا على تصوير  
سمات الحياة تصويرا فنيا صادقا يغنى الانسان ويرتفع

بحضارته وأن يكون في نفس الآن واعية للفكر والارادة  
للحفاظ على الحياة الانسانية وصيانتها أو انتشالها من  
الوهبة التي تطفئ نور الجمال أن كانت قد تردت فيما  
يفسدها ويضلها عن السواء .

**ثالثا :** أن الاحساس بالجمال والتعبير عنه لا يعرفان  
القيود الطبقية أو العنصرية الجنسية وكذلك لا يعرفان  
العنصرية الفكرية - ان أجيز هذا التعبير - فليس من  
الاحساس بالجمال في شيء وليس من التعبير عن الجمال  
في شيء أن يكون طبقيا يتغنى بالرأسمالية أو الشيوعية  
أو يتغنى بالعنصرية الجنسية أو الفكرية ، فهي كلها  
قيود وسدود تؤدي الى العزلة الحقودة النافرة من كل  
ما يعاطف الانسان على الانسان ..

**رابعا :** ان هذا معناه أن بقاء الاحساس بالجمال  
ونمائه يكمن في الوحدة والانسجام وأن التعبير عنه  
لا يكون انسانيا بغير الوحدة العضوية التي تجمع بين  
العناصر المتنافرة في تناسق أخاذ يدرك الانسان جماله ،  
وما هو أكثر من ذلك ، انه يشعر بأنه يشارك ايجابيا في  
صنيع آية الجمال ..

**خامسا :** ان ما يقال من أن للدين أثره في الفنون  
أو التعبير عن الاحساس بالجمال قول ينبغي أن يؤخذ

بحرص وحذر كي تتضح الحقائق بفواصلها بعيدا عن التعميمات التي نموه وتخدع .. فلكل دين وجهته التي يقود اليها أتباعه وأنصاره ؛ ولكل دين أثره في الاحساس والتعبير عن هذا الاحساس بآثار الفنون وأن نجعل منه المقياس الوحيد . ذلك لأن مقياس العظمة هو مقياس الحياة ، فلننظر في الدين قبل أن ننظر في آثاره لنرى كيف يتناول الحياة الانسانية ويشملها ، وكيف تربى عقيدته الانسان عقلا واحساسا وضميرا .. ولنرى كيف تراه الناس ، كل الناس .. وكيف تراه الكون بما فيه .. ولننظر أيضا فيما تبيحه العقيدة وفيما تحرمه ، وفيما توجبها وتفرضه ، وفيما تتسامح فيه ولا تستنكره ..

ثم لنستجمع ذلك كله ونوحد بينه بمنطق الحياة ، ونسير معه سيرا طبيعيا لا التواء فيه ولا تمويه لنستبين ان كان يفى بحاجة البشرية في يومها وغدها ، وان كان لا يفصم بينها وبين أن تكون العبودية لله وحده بفاصم مدعى ، فان وفى وكانت قاعدته هي الوجدانية فذلك هو دين الحياة .. وانه لدين الاسلام الذي جاء بعقيدة التوحيد وشريعة الحق .. وبين العقيدة والشريعة ينشأ الاحساس بالجمال ويصدر التعبير عنه في فنون جميلة ..



**واذا أردنا أن نعرف موقف الاسلام من الفنون بعامة  
وأياها يحلها وأياها يحرمها فأننا نقول :**

ان الاسلام لا يمنع ولا يحرم كل ما يزيد الحياة  
حسنا وصلحا وفلاحا .. ثم هو يوجب كل ما يرتفع  
بالمشاعر الانسانية فوق بلابل الأشجان والشهوات ..

ومما لا يمنعه الاسلام ولا يحرمه فنى النحت  
والتصوير ، ففي هذين الفنين تتجسد أحاسيس الجمال  
عند الانسان ، فهو يبرز خفقات قلبه وأشواقه وما يصبو  
الى تحقيقه وتخليده .. فبالازميل والفرشاة - أى فى  
النحت والتصوير - يعزف الانسان آيات معبرة عن  
احساسه بوجوده وعن مشاعره تجاه ما حوله وما هو  
قائم فيه .. وهو فى ذلك كالشاعر الذى يتخذ الألفاظ  
مادة لتصوير احساسه بالجمال وتجربته فى الحياة بغير  
أن ينكر عليه أحد تصويره البيانى الذى يحاول فيه أن  
يعطى تجسيدات حية لواقع يعاينه أو لواقع يأمله ..

أما مسألة استنكار أو تحريم النحت والتصوير  
فان الاسلام حين قضى على الوثنية فى شبه الجزيرة  
العربية وسار بعد ذلك مجاهدا فى رفع وصمة الشرك  
التي رانت على عقل الانسان كانت ضرورة مصيرية ألا  
يسمح بإقامة التماثيل وتصوير المناظر ، وأن يتشدد فى  
التحريم لأنه لا يعقل أن تمر آلاف السنين والناس يتقلبون

أمام الأصنام والأوثان ، وتهاويل الزخارف والصور  
يعبدونها من دون الله ، ثم يأتي الاسلام ويأذن للمسلمين  
بها وهم مزالوا في غضارة الايمان بالله الواحد الأحد ،  
باتخاذ التماثيل والتصاوير للتزيين والتجميل .. انه  
لو فعل ذلك لفتح الباب للمشرك القديم واستجاش الخواطر  
لنزعات الوثنية وما كان لها من عوائد وتقاليد ، والانسان  
أسير عاداته وتقاليده الى حد بعيد فهو يحن اليها اذا ما  
ابتعد عنها ويشتهد حنينه اذا ما أبعد عنها .. من أجل  
ذلك كان تحريم الاسلام للنحت والتصوير ..

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشد  
الناس عذابا يوم القيامة المصورون » ..

ومما له دلالة عميقة ما رواه مسلم عن عائشة رضي  
الله عنها ، فقد قالت :

« كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل اذا دخل  
استقبله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حولي هذا  
فاني كلما دخلت فرأيت ذكرت الدنيا » .. فالرسول  
عليه السلام يرتفع بايمانه المكين عن أن تستوقفه الدنيا  
وما بها من شهوات ، من أجل هذا كان يبعد وجهه  
الشريف عن رؤية ذلك الطائر المصور .

فعندما يكون الايمان وثيقا وأكد في راسوخه  
وصلابته من الجبال الشامخة فان الأمر يكون تسليما

وترفعاً حتى لا يشغل القلب بغير عبادة الله وحده ..  
ولكن ايمان صاحب الدعوة عليه تسلام غير ايمان من  
دعاهم اليها لهذا وجب التحريم والتشدد فيه ..

أما وقد أصبح التعبد لصنم مما يمجّه ايمان المسلم  
فضلاً عن ذوقه فان له أن يصور وينحت بما يشرى حياته  
ويعمق من فكره ويجعل تأمله تأملاً كلياً يرقى فوق  
الصخب المادى ومغرياته ..

ولكن كيف يكون كل من النحت والتصوير مثرياً  
للحياة ؟

وكيف يكون أداة معبرة صادقة فى تعبيرها وصادقة  
فى غايتها من وراء التعبير ؟

هناك اتجاهات متعددة ومذاهب فنية متخالفة فى  
الابداع الفنى ، لكل منها طريقته فى التصميم أو التصوير  
.. وأياً ما كان تخالف الاتجاهات أو تعدد المذاهب فان  
التخالف والتعدد دليل خصوية وجودية عامرة بالحياة  
بغير شك .. ولكن أن تكون الغاية اعناً للعقل والتصوير  
أو حتى للعينين بمذاهب يقال لها «تجريدية» ..

ولكن أن تكون الغاية من النحت والتصوير اشاعة  
اتجاه سياسى أو شائعة سياسية تثير الفتنة بين طوائف

قاداتها والقائمين على أمرها تأمرا لحقد دفين أو ائتمارا  
من عدو متربص ..

ولكن أن يكون ذلك هو التيار الذي تسير فيه أو تسير  
معه بعض نزعات النحت والتصوير فأنها تكون بغير شك  
أدخل في دائرة الحرام وإن احتج المحتجون وتأول  
المتأولون بدعوى الحرية والانطلاق والتجديد ..

فالحرية لا تعنى الأسفاف والانطلاق لا يعنى الجموح  
المخرب ، والتجديد لا يعنى البسود التى تعطب الفكر  
والشعور وتصدف عن حياة الحب والتعاطف والأيثار لما  
فيه خير الأمة والفرد على السواء ..

والفن الذى كثر حوله الكلام - ولا يزال - وتناقض  
هو الغناء ؛ فالقاضى أبو الطيب الطبرى يرى أن الشافعى  
ومالك وأبا حنيفة وسفيان وغيرهم من العلماء قد قالوا  
بتحريم الغناء .. أما إباحته فقد قال به أبو طالب المكي  
مستندا إلى ما قيل من أن عبد الله بن جعفر وعبد الله  
ابن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم قد سمعوا  
الغناء ..

وقبل أن نستطرد فى الكلام عن الغناء فالتناقد  
حادثة لها مقرها الكبير .. فلقد أنكر بعض المسلمين  
على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الغناء ، أنكروا  
صداقه من أمام يؤمهم للصلاة ويقرئهم كتاب الله ..



فقالوا له : ان لنا اماما يصلى بنا العصر ثم يغنى بأبيات  
فقام معهم الى منزله واستنشدته تلك الأبيات فقال :

وفؤادى كلما نهته

عاد فى اللذات يغنى تعبى

لا أراه الدهر الا لاهيا

فى تماديه فقد برح بى

ياقرين السوء ما هذا الصبا

فنى الدهر كذا فى اللعب

وشباب بان عنى ومضى

قبل أن أدرك منه أربى

نفسى لا كنت ولا كان الهوى

اتقى الله وخافى وارهبى

فجعل عمر يقول : نفسى لا كنت ولا كان الهوى . . .  
وصار يبكى ، ثم قال : من كان مغنيا فليغن هكذا . .

وما نريد أن نقرره استنادا الى الدين السميع  
القويم أن سماع الصوت الحسن والتغنى به مما لا ينبغى  
تحريمه باسم الدين خوفا عليه ومما لا ينبغى استهجانه  
باسم الرجولة والوقار وكان الرجولة قرينة الغلظة فى  
الطباع . . وكان الوقار قرين البلادة وانحراف الذوق .

لا ينبغى تحريم الغناء والسمع ذلك لأن النص  
القرآنى يحله ممتدحا مكرما . . وقد وردت إباحة سماع

الصوت الحسن في معرض امتنان الحق سبحانه على عباده اذ قال : « يزيد في الخلق ما يشاء » ( ١ سورة فاطر ) . . . وقد ذكر المفسرون أن الزيادة هي الصوت الحسن . وقال سبحانه : « ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » ( ١٩ سورة لقمان ) ؛ والدلالة هنا هي امتداح الصوت الحسن . . .

وفي الحديث ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت » . . . وقال عليه السلام : « الله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته » . . .

وليس النص وحده يمتدح الصوت الحسن ويدعو اليه بل اننا نستطيع أن ندرك ذلك من الفطرة البشرية ذاتها ؛ فللطبيعة البشرية خصائصها التي تعيش بها وتعينها على الاستمرار والترقى . . . ولكنها لا تستطيع أن تؤدي وظائفها جيدا بغير ما يلائم كل خصيصة منها . فلكل جارحة من جوارح الجسد وظيفة خاصة ومهمة معينة . . . ولكي تنهض بعملها كان من الضروري أن تتغذى بغذائها تجديدا لقوتها وبعثا لنشاطها على ألا يكون الغذاء فوق حاجتها أو أقل منها أو غير ما يستقيم وطبيعتها . ومن هذه الجوارح الفم والأذن . . . فلفم غذاؤه في ترنمه بالألحان العذبة وكذلك للأذن التي يلذ لها أن تسمع الأصوات الجميلة . وان في الحجر على الفم ألا يترنم

بالألحان العذبة والحجر على حاسة السمع ألا تطرب  
للأصوات الحسنة بدعوى أن ذلك حرام هو حكم عليها  
بالتحجر والجمود مما يفقدها القدرة على التمييز بين  
الأصوات وتذوق الجميل منها ..

ألا يطرب الانسان لصوت حبيبه أو صديقه ويأنس  
به ويعده نغما عذبا تستريح له نفسه ويهش له قلبه ولو  
لم يكن كلاما منظوما ؟!

ان الاحساس بجمال الصوت الحسن فطرة في  
الانسان والاسلام وقد جاء لرفع الاصر عنه فانه يعطى  
لقومات الفطرة ونزعاتها حقوقها كاملة كي تنهض برسالة  
التوحيد في صدق واخلاص .. ورسالة التوحيد عبودية  
مسيحة قانتة وعمل يعمر الحياة ويصعد بها في رخاء  
بهيج بغير اسفاف يوضع وراء الفتنة ويفتن بما يهدد  
البناء الاجتماعي بالتقوض ..

ان الاسلام حين دعا الانسان الى أن يأخذ نصيبه  
من متع الحياة فقد دعاه الى أن يكون محسنا في صنعته  
وعمله . والاحسان لا يصدر الا عن احساس أصيل  
بالجمال ؛ قال تعالى : « ولا تنس نصيبك من الدنيا  
وأحسن كما أحسن الله اليك » ( ٧٧ سورة القصص ) ..  
فاذا استمع المرء الى قول فليستمع الى أحسنه ، قال  
تعالى : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » ( ١٨  
سورة الزمر ) .. واذا قدم قولا فليقدم الحسن الجميل ؛

قال تعالى : « وقولوا للناس حسنا » ( ٨٣ سورة البقرة ) ..

وبقدر تعدد أعمال الناس وتنوع أشواقهم ومشاعرهم وأحلامهم تتعدد تبعاً لذلك مناحي الكلم الموزون والترنم به في أنغام ولحون :

فمنها أغاني الحجيج وأغاني الحضر على القتال والثبات في الميدان .. ومنها الأغاني التي تثبت قلوب المواطنين وتدعوهم إلى الوقوف صفا واحدا وراء قاداتهم وروادهم صموداً في سبيل الحق وصورنا لوحدة الأمة .. ومنها الأغاني التي تحت على العمل وتحبب التغني فيه والسهر عليه .. ومنها أغاني الرثاء وتهيج الأحزان والبكاء .. ومنها أغاني الأفراح والأعياد أو « المناسبات » .. ثم هناك أغاني العشيق والهوى وألحان الحب والغرام . وإزاءها ينقسم الناس ويتفرقون : فمنهم من يقول بتحريمها ، ومنهم من يحلها ، ومنهم من يجيزها بأحوال وأوقات ..

والقول الفصل في أغاني الحب والغرام وما يدور حولها من موسيقى سواء في انشائها وإذاعتها أو في سماعها ، أنها مما لا يمكن منعه أو التقليل من شأنه وخطره إلا إذا استطاع الجامدون أن يمنعوا التقارب بين الذكر والأنثى لبناء أسرة ووضع لبنة جديدة في صرح المجتمع ..

والتقارب أنس وشوق وتعاطف . . وفي الأسرة يكون حديث الحب بين الزوجين وفاء وتفانيا وحنينا يكشف عن طبيعة الوشائج ومداهما بين القلوب . . وحتى في خلافات المغاضبة والهجران ، من ذا الذي يستطيع أن يمنع لواعج الشوق من أن تزيد من أوار الحنين وحسرة الحب ؟

ومن ذا الذي يستطيع أن يمحو من الذاكرة أيام الوصال فلا يعاودها الحنين رجاء وأملا ؟

بأى مقياس نقيس أشواق النفوس ؟ وبأى ذريعة نكبح أو نقمع فطرة الأشواق ؟  
واذا كبحننا أو قمعنا فكيف يكون رد الفعل النفسى والسلوكى عند الفرد والجماعة ؟

ان سماع الحان الوصال وحلاوة أيامه لتقريب للنفوس النافرة وانتزاع لأسباب الجفوة والهجران من النفوس الظامئة الى الأنس والاطمئنان . .

وقد ذكر الامام الغزالى فى أسباب اباحة سماع أغاني وألحان من يرح بهم الشوق ، أنه لا جناح فى « سماع أغاني العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهيج الشوق ، والشوق وان كان ألما ففيه نوع لذة اذا ما انضاف اليه رجاء الوصال . فان الرجاء لذيد والياس مؤلم وقوة لذة



الرجاء بحسب قوة الحب للشئ المرجو .. وهذه أنواع  
تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ، .. ثم يقول :  
« **أما الحرام فهو تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه  
بالوصال واللقاء** » .

وتكمن فى هذه العبارة الأخيرة نظرة الامام الغزالى  
الى ما يجب أن يكون عليه كلام الأغنية وطريقة أدائها ..  
فينبغي ألا يكون الكلام محركا لأشواق الجسد ومهيجا  
لنزعاته وداعيا اليها فى عبارات تكشف عن العورات  
وتضرى بالتلصص اليها فيكون دعوة سافرة سافلة الى  
الفحشاء والمنكر .. فاذا أضيف الى اللحن طريقة الأداء  
ذاتها فى تخنثها فى التطريب مما يجرح مشاعر الحياء ،  
فان تحريم ذلك اللون من الألحان فى اذاعته وسامعه  
يصبح فريضة واجبة .

وفوق هذا فان الحفاظ على سلامة نسيج المجتمع  
فى علاقاته ومصالحه المتشابكة واستواء نفسية أفراد  
واستقامتها ، ذلك كله يستوجب « تحريم » كل كلمة  
تغرى بالانحلال ، وكل لحن يقتنص العزمات فيوهنها  
ويوهن خلال الحياء بها .. ويصدق هذا كما ذكرنا على  
فنون الجمال بعامة : فالتمثال المنحوت قد يرتفع بالمشاعر  
زكاء وعلاء وقد ينحدر بها الى سفح التبذل والترخص ..  
ومثل ذلك فى الصورة واللحن والحوار التمثيلي .  
وبالنسبة للحوار التمثيلي - مسرحية أو رواية سينمائية -  
فان لنا معه كلمة ..

فالروايات التمثيلية سواء آكانت مأساة أو ملهاة،  
ينبغي أن توضع فى الاطار الذى يحيى الانسان أملا وعملا  
• • فتبتعث فيه نوازع الخير والايشار والعمل الكريم •  
قد تكون المأساة قاسية على المشاعر مؤججة لنيران الأسى  
والاشفاق الحاد لما تشيره من تصارييف، الأقدار • • وعرض  
ذلك خلال مباح ومطلب واجب التجسيد ولكن خطورة  
التراجيديا وما يدخلها فى دائرة التحريم يأتى من أمور  
ثلاثة :

**أولا :** أن تصور الانسان فى صورة الفريسة المهينة  
لتصارييف الأقدار العمياء التى لا تفرق بين موقف وآخر ،  
أو عمل وعمل ، مؤكدة بالايعاء الملح على ضياع الانسان  
وعدمه وعبت خاتمتة •

**ثانيا :** أن تشير التراجيديا مواقف « جنسية »  
وتتخذها المحور الوحيد الذى يدور عليه مصير الانسان  
وكيانة وظواهر حياته وكأن شهوات الجسد حين تنحرف  
وتسف فى انحرافها هى شغلان البشرية جمعاء • •

**ثالثا :** أن تشير التراجيديا بتأثيرها الفلسفى أو  
شبه الفلسفى تساؤلات واستفهامات متناقضة تكون  
مدعاة للشكوك فى الوجود ومآله ان لم تكن مدعاة للتجديف  
فى حق الألوهية ذاتها • •

وهذه الأمور الثلاثة كامنة فى مجموعها الى أن تمزق

الكيان الفكرى والنفسى والعاطفى للانسان الى أن تززع بنيانه الايمانى أو ضميره .. واذا تمزق البنيان الايمانى، واذا تمزق الكيان الفكرى والنفسى والعاطفى وأصبح مزقا منحرفة عن مجال الاستواء القويم ، أفلا يكون ذلك سببا لأن يصاب المجتمع بأضر الآفات وأقدرها على افساده وتقويضه ؟ وأى مجتمع هو ذاك الذى تشيع فيه فوضى الأعمال التراجيدية بين الادعاء بالتححرر والادعاء بالتفلسف .. والادعاء بالتعاطف والاشفاق على مصير الانسان .. والادعاء باستخراج أخفى خفايا الضمير الانسانى وما يمور فيه من نزعات ونزوات مكبوحة ؟!

ولا حرج على الأعمال التراجيدية التى تدعو الى التحرر والانطلاق .. ولا حرج على الأعمال التى تجسد أبعاد التعاطف والتنافر التى تنشأ بين أبناء آدم ..

ولا حرج على تجسيد خفايا الضمير الانسانى وما يضطرع فى اللا شعور من خواطر وهواجس ..

لا حرج على ذلك كله الا أن يكون الهدف كما قلت مجرد اثارة قائمة على امعية فلسفية أو تبعية سياسية متأمرة أو اثارة صادرة عن سطحية فكرية تتسم بالعقم وقصر النظر ..

واذا علمنا أن الطبيعة الانسانية تنطوى على فطرة اليأس والقنوط كما تنطوى على فطرة حب الخير والسعى

اليه والاعتزاز به الى حد التكبر والتجبر كما قال سبحانه :  
« **وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ  
الشَّرُّ فَيَتَوَلَّى قَنُوطًا** » ( ٤٩ سورة فصلت ) . . اذا علمنا  
هذا فاننا نستطيع أن نتصور مدى الأخطار التي قد تؤدي  
اليها روايات المآسى أو التراجيديا التي قد تنحرف الى ما  
أشرنا اليه . .

ومع ذلك فان النفسية المسلمة لها من ايمانها بالله ما  
يعصمها من كوارث الحاضر وما قد ينذر به المستقبل . .  
فالوجدان المسلم لا يتشبت أمام المصائب أيا كان لونها ؛  
ولا يفقد يقينه بالله اذا كرثته داهية لأنه يؤمن أنها  
مواقف ابتلاء وتمحيص لايمانه وارادته وفكره بل ابتلاء  
لحريته وكرامته . . نعم ، انه يعى وعى ايمان بصير معنى  
قوله تعالى : « **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ  
مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ** وبشر الصابرين الذين اذا  
أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » ( ١٥٥ ،  
١٥٦ سورة البقرة ) . .

فضلا عن ذلك فالقرآن الكريم فى قصصه حافل  
بأروع مواقف التراجيديا من ناحية الرمز الوجودى  
والدلالة الفلسفية . . ومن هذه المواقف موقف نوح عليه  
السلام وابنه لحظة الطوفان . .

فكان القرآن الكريم يربى الوعى الاسلامى على

مواجهة مواقف الابتلاء والفتنة مواجهة بطولية فلا ينكص ولا يتشكك .. وكذلك يربى ذوق المسلم على تقديره مواقف الابتلاء تقديرا فنيا أصيلا عندما تعرض مشاهدتها في الاطار الفنى القديم .

والى جانب التراجيديا فهناك الكوميديا .. وبالنسبة اليها فاننا نقول : انه اذا كان التفاؤل بالخير والسعى اليه وكذلك اليأس عند وقوع البلاء فطرة فى الانسان فان الضحك فطرة أيضا ، فله بواعثه ومقتضياته وأوقاته وحالاته . وهذا مما يجعل له نوع خطورة بالنسبة للتكوين النفسى للفرد أو التكوين النفسى للمجتمع . وغنى عن البيان ، ومما يدركه الناس على اختلاف مراتبهم وأعمالهم أن الضحك أو الفكاهة ، أو الكوميديا انما هى ترويح عن النفس وتخفيف مما عليها من أثقال الحياة واعطائها لحظات من الانتعاش النفسى الذى يبعث الحيوية ويجدد النشاط ..

هى ترويح عن النفس أيا كانت صنوفها وأهدافها .. فلتكن الكوميديا نقدا اجتماعيا ، ولتكن نقدا سياسيا ولتكن نقدا ذاتيا فانها فى غايتها الأولى اضحاك وترويح هو تسرية وتخفيف .. وبين الاضحاك والتسرية تبدو الآفات التى يمكن أن تتجسد وتتجسد حتى تصبح مرضا اجتماعيا عصيا على العلاج أو المداواة ..

ولعل من أخطر الاخطار أن تصطنع الكوميديا للتهجم على الآداب وقواعد الأخلاق أما بالمماحكة في بدعة التحرر والانطلاق وأما بالمماحكة بالثورة على الجمود والبلادة . . . وذلك لأن الكوميديا بما تحفل به من فكاهة وسخرية أكثر ذيوغا وأسهل جريا على ألسنة الناس الذين يميلون إلى التفكه ويستطيبون بواعثه . ولذلك فإن الحوار في الكوميديا إذا ما تعمد من خلال المواقف المتناقضة التي تفجر السخرية المضحكة أو التي تختلق مناسبات الضحاك والهجوم على الآداب وقواعد الأخلاق فإن ذلك أضراء وأغراء بالخروج عليها وذلك هو الحرام . . .

وكذلك الكوميديا التي تخرج بفكاهتها ومواقفها الهزلية إلى الكلام المكشوف المتفحش في ذكر علاقات الرجال بالنساء فهي حرام - حرام !! ولهم ألا تكون حراما ؟ فليس فيها إهدار للقيم واستمرار للانحلال واجترار بالفحشاء على النيل والحياء ؟ بلى وحذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها في النار أبعد من الشرا » . . .

والكوميديا - أو الضحاك - مواقف لها خورة لأوضاع يكون عليها الفرد أو الطبقة أو المجتمع ، فإذا جاء الضحاك سخرية من انحراف أخلاق أو سلوك كئيبة ، الترافع عنه أو الاستنقاذ تطهيرا للنفوس والصدور أو تقويما للأفكار



.. اذا جاءت السخرية كذلك فهي الفكاهة المحبوبة المليحة  
بل هي الفكاهة الحقة الصادقة .. فان لم تكن الكوميديا  
للاصلاح والتقويم ، وكانت المواقف الساخرة أو الفكاهة  
مما لا ضرر عنها ولا اساءة للمشاعر بل هي من طبائع  
الاشياء لا يلحظها سوى الذكاء اللماح فذلك حلال يجب  
أن ننشده ونحرص عليه .. وانها لحكمة بالغة أن يقول  
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « انى وان  
دعيتكم لا أقول الا حقا » ..

وانها لحكمة بالغة أيضا أن يحذر من المزاح فيقول  
عليه السلام : « لا تمار أخاك ولا تمازجه » ..

ونضار الأمر أن الجلال والحجرام فى الكوميديا يحكمه  
قوله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم  
من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء  
عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا  
بالألقاب بشئ الأسيم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب  
فاولئك هم الظالمون » ( ١١ سورة الحجرات ) ..

والفن الذى يمكن أن يقال انه فن متهم هو الرقص  
وهو عند أصحابه أنواع وألوان : فهناك الرقص الشرقى  
والرقص الغربى والرقص الشعبى ورقص البالية .. وكل  
نوع من هذه الأنواع له عند أصحابه قواعد وأصول وتقاليد  
ولو سألت أهل كل لون عن مكانة رقصهم بين الفنون  
لقالوا فى اعتزاز : انه فن له مكانته وكرامته .. ولو سألتهم

عن علاقته بالأخلاق لقالوا على الفور : هذا يتوقف على تفكيرك  
أنت : « الفن » طاهر جميل ..

ولتحديد موقف الاسلام من فن الرقص فانا نقول :  
ان علينا أن نرجع الى موقف الاسلام من الحياة والانسان  
والناس ، فان كان الرقص مما يعمق من الحياة ويصونها  
ويسعد الانسان ويزكيه ، ويبهج الناس ويعاطفهم فنعمما  
هو .. ولكن الرقص سواء كان شرقيا أم غربيا هو رقص  
جنسى مثير لنزعات الجنس وانفعالات الجنس وأشواق  
الجنس وهو فى سبيل ذلك يسقط ستار الحياء غير حافل  
بالخلق أو السلوك المحمود .. فان قيل فى هذا الرقص  
غير ذلك فهو من قبيل التمويه والمخادعة التى تفسد على  
الناس نفوسهم وضمائرهم وتفسد على المجتمع قوة بناءة  
ووحدة ..

أما الرقص الذى يمكن التسامح فيه الى حد ما فهو  
الرقص الشعبى يعرض فى مشاهدته - أو لوحاته - تقاليد  
الأمم فى غايرها أو حاضرها .. وكذلك رقص الباليه فيما  
يعبر عنه من رموز لها دلالتها المعنوية أو الأخلاقية فى  
حياة الانسان بعامة .. وذلك خلال لا سيما اذا طسور  
وأثقف بما لا ينحرف به الى الاسفاف فى الحركة أو الوضاعة  
فى الرمز .. والدليل على ذلك ما روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « فى الخبر أن عائشة رضى الله عنها  
قالت : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم

يلعبون فى يوم عاشوراء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **أتحبين أن ترى لعبهم ؟** قلت : نعم . فأرسل اليهم فجاءوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كتفه على الباب ومد يده ووضع ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك ، وأقول : اسكت ، مرتين أو ثلاثا ، ثم قال : يا عائشة حسبك . فقلت نعم ، فأشار اليهم فانصرفوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا والطغمة بأهله** . .

ان الفنون التى تزيف على الناس حياتهم وتسعى الى الجامهم بلجام الشهوات أو تسعى لبث الفرقة والشتات هى فى حقيقتها آفات نفسية صادرة عن نفوس منحرفة تتأثر من أجل هدف : قد يكون ذاتيا أو شخصيا وقد يكون اجتماعيا وربما يكون قوميا . . والانحراف يكون ابتعاد عن شريعة الحق سبحانه . . ومثل ذلك النكول لا يخلق انسانا ولا يصلح مجتمعا . . اذا فاتباع الهوى ضلال وليس أفضل ممن اتبع هواه ، قال تعالى : **« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »** ( ٥٠ سورة القصص ) . .

وحذر القرآن من الاغترار بما يزينه أصحاب الأهواء لأن قلوبهم غافلة عن ذكر الله ومن غفل عن ذكره فقد غفل احساسه وعقله عما يجب أن يعمل له لاصلاح الحياة ،

قال تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه  
وكان أمره فرطا » ( ٨٢ سورة الكهف ) . .

لكنما الصديق الجميل هو الذى يحيى النفوس ويعاطفها  
ويجعل حياتها عملا وتحقيقا واصلاحا . .

ونحن اليوم فى عصر فنون التعبير فيه لم تعد مقياسا  
تقاس به درجة الارتقاء الحضارى فحسب وانما أصبحت  
كذلك سلاحا قادرا على بث بذور الفتنة أو بذور الشك  
والخيرة فى المجتمع وقادرا أيضا على العبث بأخلاقياته  
وتقاليده فيجتذبه بما يقدمه من فنون التعبير الى اقتراف  
مآثم الفحشاء متذرعاً باسم المدنية والحرية . . وان لفنون  
التعبير خطرهما وتأثيرها المباشر على الفكر والنفوس فهى  
تستطيع أن توجه رأى العام حيثما يشاء مبدعوها . .  
وأكثر من هذا فان فى مكنتها خلق ذوق عام واحساس  
عام بالجمال . .

الا أن الفنون اذا صدقت وصدق القائمون على أمرها  
والمبدعون لها وسارت وفاق ما استلهمناه من القرآن  
الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت هى  
نعم الحلال الذى يسعد ويغنى ويبعث الحياة فى القلوب  
المقفرة ، فاذا الكون أنشودة حب ورجاء . . واذا الوجود  
ترنيمة شكر لبارئ الأرض والسماء .

## الفصل الثاني

الرقابة على الفنون الإسلامية

مقاييسها

وحدها

ولمن تكون





## بين الرقابة والنقد

« يقول سبحانه : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ( ١٤ سورة آل عمران ) »

ويقول سبحانه : « انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » ( ١٤ سورة الكهف ) »

في هاتين الآيتين الكريمتين تتركز ثلاث حقائق رئيسية تحكم الوجود الانساني فيما يعمل ويأمل أو تسعى به لمقداره وصروف زمانه .

فالآية الأولى تعرض الطبيعة البشرية أو الفطرة البشرية بأبعادها وأعماقها وظواهرها . فالكيان البشرى قائم على الشهوات ، والشهوات رغبات ودوافع وغرائز أو هي الامكانيات الفطرية التي لا يكتب للانسان وجود غيرها . وهذه الشهوات ليست مرجوة أو مأمولة فحسب لكنها محبوبة أيضا . . . . . وحبا يعطى لها صفة الدوام ويعطى للانسان دافع السعى الدعوى اليها .

فهو لا يفتر في رجائها ولا يصيبه النواء في طلبها  
.. انها أثيرة الى قلبه ، اثيرة الى نفسه بل هي نفسه  
في أشواقها وأحلامها . ومما يعطى حب الشهوات أعمق  
الدوافع وأعظم الطاقات على النزوع والانطلاق أن الشهوات  
مزينة في فطرة الانسان . فهي في تصوره وخياله جميلة  
غاية الجمال ، لذيذة غاية اللذة ، ساحرة غاية السحر .  
لها نوع من الجاذبية لا يقاوم ولا يملك المرء نحوه سوى  
التسليم والاذعان في رضا هو السعادة التي لا سعادة  
فوقها .. تلك هي غرائز الانسان أو دوافعه أو نزعاته ..  
سمها ما شئت الا أنها حب واشتهاء ، وما الحياة غير حب  
واشتواء ...

وتقرر الآية الثانية أن هذه الشهوات المحببة .. هذه  
الشهوات المزينة ليست أحلاما أو خيالات تمور في فراغ  
أو تموج في فضاء سحيق ولكنها طاقات أو امكانيات تنشده  
واقعا وتسعى الى التحقق في واقع ...

وما واقعها سوى الأرض ففيها تجد الشهوات  
المرينة في سواء النفس حاجاتها رابية زاكية ..

ولكى تكون الاستجابة فطرية حيوية ، ولكى يكون  
التحقق ايجابيا مشبعا لشهوات النفس فان منطق الفطرية  
البشرية يقتضى أن تكون الأرض على درجة من الزينة تتسق  
والزينة التي خلقت عليها هذه الفطرة .. وبذلك ينشأ

التآلف والتجاذب فتتحقق امكانيات الفطرة • وهذا ما قدرته  
العناية الالهية فقال سبحانه : « انا جعلنا ما على الأرض  
زينة لها » ••

ومن هنا لم تكن زينة الأرض مجرد تزويق وتجميل  
يسر الانظار أو مجرد حلية فارغة لا ترضى حسا ولا  
تروى ظمأ •• ولكن الحق سبحانه جعل كل ما على الأرض  
« زينة لها » أى فيه امكانية اشباع الشهوات •• فهنا  
كما قلنا تجاذب حى بين الفطرة المحبة والأرض المحبوبة  
وهذا التجاذب الحى حركة وتغير واتجاه ، فهو بذلك  
مكابدة من أجل تحقيق الرغبة أو اشباع الشهوة فى  
سبيلها تكون المكابدة هموم وظنون واقدام واحجام ومغالبة،  
يغالب المرء فيها الحاح الشهوة ويقظة الضمير كما يغالب  
فيها تقاليد مجتمعة وطبيعة شخصيته وربما يغالب طبيعة  
عصره وزمانه ••

وسواء المغالبة أو المكابدة فهما الابتلاء فى عمومه ••  
الابتلاء الذى به وفيه يتحقق الامكانية فتصبح عملا واقعا  
ينعكس أثره على الفرد والمجتمع والأمة كذلك •• ولذلك  
فقد حددت الآية الكريمة الطبيعة التى يجب أن يظهر عليها  
العمل بأن يكون كفاء الزينة التى خلق الله الأرض عليها -  
وكنماء الزينة التى خلقت عليها نفس الانسان فى رغباتها  
ودوافعها •• وما الكفاء سوى أن يكون العمل زينة من  
الزينة •• وسوى أن يضيف زينته الى زينة الأرض فلا

يشوهها ولا يفسدها .. نعم ؛ : « ولنبلوهم أيهم أحسن  
عملا » ..

وإذا كانت الشهوات قد زينت في فطرة الانسان  
فزينت في عينيه ومشاعره كما زينت ظواهر الأرض  
لأشباع تلك الشهوات وكان الأشباع لا يتم بغير مقاساة  
ومكابدة كان معنى هذا أن الانسان في موقف الابتلاء  
الدائم أو موقف الاختبار الذي لا يغتر .

وما الاختبار ؟

وما الابتلاء ؟

انه نقد وتمحيص فيه يتم الاختيار ويقع التحقيق ..  
فالانسان اذن رقيب على نفسه ناقد لذاته ، بصير بما يفعل  
وعلى ما يعمل ؛ قال تعالى : « بل الانسان على نفسه بصيرة  
ولو ألقى معاذيره » ( ١٤ ، ١٥ سورة القيامة ) .. فشرط  
احسان العمل المراقبة والنقد فبغيرهما يستحيل على الانسان  
أن يتقدم خطوة على طريق الارتقاء أو على طريق انجساز  
ما بين يديه .. فهو يراقب خطاه كيف تتم ، وكيف يجب  
أن تتم .. ويراقب ما صنع وهل هناك طريقة أصوب  
أو أكثر أمنا كان يمكن أن تتبع .. ثم هو يراقب آثار ما  
أنجز أو آثار ما يمكن أن ينجز على نفسه وأهله ومجتمعه ،  
ما يمكن أن يجره من ويلات أو يجلبه من خيرات ..

و حين نقول أن الانسان بصير على نفسه أو مراقب  
لنفسه ناقد لها فان هذا يلزمنا بأن نحدد مفهوم كل من  
المراقبة والنقد والعلاقة بينهما وحدود كل منهما . .

فالمراقبة نظر عن بعد فهي من ثم مشاهدة للخطوط  
العامة أو التحركات الأساسية :

من أين بدأت ؟ وكيف سارت ؟ وماذا حدث في  
سيرها ؟

وكيف تخطت عقباتها وتغلبت عليها ؟ وإلى أين تسير  
في حركتها ؟

هل تتجه الى ما هو اقوم ؟ أم أن اتجاهها يوردها  
موارد التهلكة والبوار ؟ وسواء نظر الانسان الى ظواهر  
الاجتماع عن بعد أو نظر الى ذاته عن بعد بأن وقف منها  
موقفا موضوعيا فراقب نتيجة أعمالها وطبيعة مسيرتها . .  
سواء مراقبة الغير أم مراقبة الذات فان المراقبة لا تكون  
الا بوجود بعد اجتماعي - ان أجيز هذا التعبير - أو بعد  
سيكولوجي أو وجود الاثنين معا عند التقييم والتقدير .

وأمر ثان ، هو أن المراقبة تعنى الالتزام بالتقييم  
والالزام بالتغيير أو التصحيح على أقل تقدير . : وعلى هذا  
فالمراقب حكم وحاكم في نفس الآن .

أما النقد فالصفة الغالبة عليه أنه تقدير للباطن

وفحص لدقائقه وعناصر تكوينه ، فهو على هذا نظر  
عن قرب أو هو نفوذ الى داخل البناء لدراسة تكوينه ومضمونه  
ومدى اتساق عناصر التكوين مع بعضها ومدى خدمة ذلك  
التكوين للهدف الخاص الذى أنشئ البناء من أجله وخدمته  
للهدف العام أو الروح العامة التى تسرى فى كيان المجتمع  
وتسمه بسماتها المميزة ..

وغاية النقد أن يبصر وينبه ويهذى لما يجب أن يكون  
بغير أن يلزم أو تكون لديه السلطة القادرة على التغيير ..

ومن مفهومي كل من المراقبة والنقد تخرج بسمات  
مشتركة بينهما وهى :

**أولا :** أن كلا منهما يفحص ويحلل ..

**ثانيا :** أن كلا منهما يقيم ويزن ..

**ثالثا :** أن كلا منهما - نتيجة للوزن والتقييم - يتخذ  
موقف القبول أو موقف الرفض من الأثر الذى عرض  
له ..

**رابعا :** أن كلا منهما يهدف الى ما هو أقوم ..

أما ما يختلف عنده كل من المراقبة والنقد فهو أن  
المراقبة مشاهدة وفحص للخطوط العامة أو الاتجاه العام  
.. على حين أن النقد يعنى فى المقام الأول بتحليل الكيان

الداخلي للعمل واستخراج مدلول كل عنصر فيه .. والشئ  
الثاني أن المراقبة تتخذ صيغة المسئولية الرسمية أو الالتزام  
الرسمي الذي يملك سلطة التغيير والتبديل .. أما النقد  
فحسبه التحليل والمقابل والتقييم . ولذلك يصح أن نقول  
أن الرقيب ملزم لنفسه وملزم لغيره على حين أن الناقد  
ملتزم بأصول الفن الذي يتعرض له ويعالجه ..

وعلى هذه التفرقة بين الرقابة والنقد نتناول الفنون  
الاسلامية ...

وقد يتساءل بعض الآحاد :

ما المقصود بالفنون الاسلامية ؟

أهناك فنون خاصة بالاسلام ؟

أهناك فنون لا تتفق وروح الاسلام ؟

أو ليس في القول بفنون اسلامية أن الاسلام ينفر  
من بعض الفنون أو ينفر من جانب من الحياة قد تكون  
له فيه متعة أو قد تكون فيه سعادة للناس واعانة لهم على  
ما يعانون ؟

ونقول ردا على ذلك كله : ان الاسلام لا يحرم على  
الانسان أن يستمتع بمتاع الحياة الدنيا ولا يحجر  
عليه بالقمع والكبح والارهاب .. ولكنه يفتح آفاق الحياة



أمام بصره وفكره فيسعى فيها كيف يشاء اجتناء لما تشتهيه  
نفسه ولما يجد فيه موطن لذة ومغنى سعادة وذلك بضوابط  
تحياى الحياة فى نفسه وتحياى الحياة فى مجتمعه وأمته  
وانسانيته ..

وتتركز الضوابط فى قوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك  
الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن  
كما أحسن الله إليك ولا تبغ النساء فى الأرض ان الله لا  
يحب المفسدين » ( ٧٧ سورة القصص ) ..

**وأول هذه الضوابط أو صمام الأمان لكل عمل هو**  
أن يبتغى الانسان الدار الآخرة : « وابتغ فيما آتاك الله  
الدار الآخرة » .. ومعنى أن يبتغى المرء الدار الآخرة  
هو أن شريعة الحق تكون منهاجه فيما يعمل ويقدم عليه ،  
حتى يكون جزاؤه فى الآخرة خير جزاء .. وكى لا يستقر  
فى الأذهان أن ابتغاء الدار الآخرة يعنى تحريم متع الحياة  
الدنيا أو تبغيضها فى النفوس فان الحق سبحانه يقول :  
« ولا تنس نصيبك من الدنيا » ..

فلكل انسان نصيب من متع الحياة يتفق وعمله  
وقدرته ومذهبه .. كما يتفق وذوقه وما يحرص عليه ..  
أجل ، لكل نصيبه الذى قدره له الخالق الرحيم فعلى كل  
انسان اذن أن يحس فى تناوله فلا يبسده ولا يسرف فيه  
بل يستغله فيما يعود على فكره وشعوره وجسده بالخير

الذى يرومه .. ويستغله فيما يعود على جماعته القريبة  
وجماعته البعيد بالخير .. ويستغله فى أن يكون الخير  
كله عبودية لله وتقربا اليه سبحانه : « وأحسن كما  
أحسن الله اليك » ..

اما ان أخذ نصيبه من الدنيا الى غير هذه الغاية  
فذلك هو الفساد الذى لا يضار به فرد انما تضار به الأمة  
بأسرها .. وما هو أكثر من ذلك ، ان الفساد يعم البشرية  
كلها : « ولا تبغ الفساد فى الأرض » .. ثم تأتى الفاصلة  
لتؤكد أن افساد الحياة على أهلها بالايضاع فى الشهوات  
على نحو يضل ويقوض من دعائم الوجود الحضارى بل  
ويقوض النماء النفسى للفرد فاذا هو ضال مفسد ، ومجذوف  
منحرف .. ذلك هو أبغض شئ الى الله سبحانه فقد  
قال : « ان الله لا يحب المفسدين » ..

أجل ، ان هذه الآية الكريمة أو القاعدة العامة بأركانها  
وأسسها هى المبدأ الذى يجب أن تقوم عليه الحياة وهى  
المذهب الذى ينبغى الدعوة اليه والعمل به ومن أجله ..

لكن كيف يكون العمل به فى ميدان الفنون ؟

كيف نتخذة دستورا نستهديه سواء الابداع الفنى  
أو الرقابة على الفنون ؟ لكى نستهديه دستورا نحتكم  
اليه عند تقدير الفنون يجب أن نضع فى اعتبارنا أربعة  
أمور ؟

**أولاً : سلامة البناء النفسى والفكرى والدينى للفرد .**

**ثانياً : سلامة البناء الاجتماعى فى عقيدته وتقاليده وفكره .**  
**وتأصر وحداته .**

**ثالثاً : قدرة الطرفين متأصرين ومتعاطفين على النهوض**  
**برسالة الاسلام لاسعاد البشرية جمعاء .**

**رابعاً : أن يكون الفن لله وفى سبيل الله .**

**وفى ضوء هذه القواعد الأربع المتكاملة يمكننا تحديد**  
**مقاييس الرقابة على الفنون الاسلامية ..**

## مقاييس الرقابة

### المقياس الأول

أن يكون الفن دعوة للحياة ..

يقول سبحانه : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » ( ١٢٥ سورة النحل ) ..

ان الفنون فى عمومها متعددة الجوانب والخصائص والاتجاهات ، متميزة فى محتواها والغاية المقصودة من وراء المحتوى المعبر عنه بهذا الفن أو ذاك .. فالفنان المبدع فى حوار دائم بينه وبين باطنه . والباطن مشاعر وأحاسيس والباطن أيضا أحداث ووقائع مر بها المرء من لدن طفولته الباكرة فشكلت شخصيته وأعطتها سميتها الرئيسية المميزة . وأعطتها طريققتها العامة فى تناول مسائل الحياة والكيفية التى تسلك بها فى معالجة مشكلاتها .. فهذا الباطن ليس

سويا فيما ينطوى عليه من تيارات ، انه قائم أساسا على مشكلات ربما تكون قد انتقلت في جانب كبير منها منذ عهد الطفولة فكونت القاعدة الأساسية لطبيعة الفرد النفسية .

وهذه المشكلات النفسية سواء ما غاص منها في أعماق اللاشعور أو ما شارف منها خط الشعور إنما هي في حقيقتها مشكلات امكانيات فطرية كانت تسعى وتصر في سعيها على أن تتحقق . . ولكنها بسبب القواعد الاجتماعية أو القوانين الاجتماعية التي تتمثل في التقاليد والأعراف والروح الحضارية العامة ، لم تجد سوى الانزواء في مكان اللاشعور في حيرة متوترة .

وما كانت التقاليد والأعراف مجرد قوالب للسلوك العام أو صيغ أخلاقية محددة يتبعها المرء بغير أن يخرج عليها أو يتجاسر بالتفكير في الخروج عليها . ولكنها أنماط في الفكر والتصور وتقاليد في الاحساس والادراك تجعل المرء منذ بواكير أيامه الأولى وهو في حوار مع الحياة لما لديه من امكانيات عميقة متعددة بقدر عمق شخصيته وتعدد اهتماماته . . ولذلك فانه في سبيل تحقيق امكانية منها يقع في صراع أو يجد نفسه مرغما على الدخول في صراع قد يكون مع ذاته وما نشئ عليه . . وقد يكون مع المجتمع أو مع الناس الذين يحيون معه في دائرة واحدة .

وهذا الصراع يأخذ عند الفنان - وهو من هو في

حسه وشعوره وعمق تصوره وانفساح رؤيته - صورة  
تعبيرية تأخذ أبعادها وألوانها ، وتأخذ أضواءها وظلالها ،  
وتأخذ اتساقها ولحنها من احساس الفنان وشعوره وهو في  
صراعه أو وهو في معاناته التي يغلب أن تكون ذاتية الطابع  
فردية السمة وجودية النبرة . وهذا يدلنا على أن الفنان  
إذا كان ابن ذاته وشخصيته فهو كذلك ابن بيئته وزمانه  
ولذلك فانه من الخطأ أن نفصل الفنان عن بيئته أو مجتمعه  
وعلى هذا المعيار فهو ملتزم أو مسئول أمامه اذن لا يمكن  
اخرجه من زمانه ووضعه خارج الزمان .

ومن ثم كان لابد أن يكون الأثر الفني تعبيرا عن  
زمانه ومجتمعه وصورة لزمانه ومجتمعه . . يجب أن يكون  
دعوة الى أن يحيا الانسان زمانه ويتمثل مجتمعه ولا يتم  
له ذلك بغير كلمة هي الحكمة وصورة هي الحكمة ، ولحنا  
هو الحكمة . . ومعنى هذا أن يكون للأثر الفني انطباع  
عميق محدد محكم في ادراك الانسان وتصوره ، أي أن يكون  
قادرا على أن يمنح البصيرة الانسانية القدرة على مجابهة  
الحياة بارادة حكيمة ونظرة عميقة تنشد طريقها في ثقة  
واطمئنان . . فلا تروئسها محن ولا يضلها تناقض الأمور  
وتخالفها فتسير على غير هدى وتحكم بغير روية مستبصرة .

وربما قيل ان معنى أن يكون الأثر الفني حكمة وداعيا  
الى الحكمة وأنه ينبغي أن يقاس بمقياس الحكمة ، هو أننا  
نقيس الأثر الفني بمقياس أخلاقي تحكمي أو بمقياس

أخلاقى تحكمى أو مقياس أخلاقى ضيق عقيم فيه حجر على  
الفكر والشعور أكثر من أى شىء آخر : . يبدو أننا نبادر  
فنقول ان ما نريده من أن يكون الفن حكمة أو تعبيراً عن حكمة  
هو أن يتجلى فيه صدق الرؤية وعمقها وأصالة التعبير  
الابداعى الذى يعطى بلمحة منه أو بلمحات منه الانطباع  
الحى للتألف العضوى لمقوماته سواء تألفت فى لحن أو  
صورة أو تمثال أو قصيدة وذلك كى يعطى الأثر الفنى أملاً  
فى الحياة وثقة فى الغد ، وما هو أكثر ، يعطى الوعى يقظة  
والضمير حركة مستنيرة والارادة تصميمياً على العمل واصراراً  
على الحياة . .

فاذا استطاع الفنان أن يظهر هذه المعانى أو يجسد  
هذه المعانى ، أو على أقل تقدير يترك أثره الفنى فعله فى  
الوجدان والخيال فقد استقام الأثر الفنى وما أريد منه . .  
واستقام قبل كل شىء مفهوم الحكمة وهى الدرجة الأولى  
من المقياس الأول الذى ذكرناه . .

ويمكننا أن نضيف الى ما سبق أنه اذا كان يجب أن  
يكون الفن دعوة الى رؤية حكيمة فذلك أن الرؤية الحكيمة  
التي يقتضيها المقياس الاسلامى فى مراقبة الفنون لا تحجر  
على الذات كما يتوهم المتوهمون الذين يظنون أنها - أى  
الرؤية الحكيمة - لا تتيح للذات الانطلاق التلقائى الحر . .  
ذلك الانطلاق الذى تستخرج منه الذات دخر مكنونها من  
الأحلام والارهاصات وذوب عبقريتها المحلقة فى أجواء فوق  
أجواء من الابداع الفنى المنقطع النظير . . وبذلك يتجو الفن



من التحكم الأخلاقي الذي يحكم على نضرة الفن بالاعجاف والذبول لأنه فوق اخماده حيوية الانطلاق الذي يحيي المضمون فانه يجعل الفنان أسير النماذج التي رضى عنها أخلاق الجمود .

وقد عرض جون ديوى لخطورة الوقوع فى أسر النماذج الخالدة للفنون فقال : « ان الاستناد الى قواعد انما هو صورة واهنة مشوهة لا عجب مباشر سابق بعمل بعض الشخصيات البارزة اعجابا قد استحال فى خاتمة المطاف الى ضرب من الاسترقاق أو العبودية . ولكن سواء آكانت المعايير والقواعد والارشادات قائمة بذاتها على حسابها الخاص أم مستمدة من روائع الفن العالمى فان المؤكد أنها عامة فى حين أن موضوعات الفن فردية وآية ذلك أنه لا موضع لتلك المعايير أو القواعد فى صميم الزمان وهو ما نعبّر عنه سذاجة حينما نقول انها أبدية . . ومعنى هذا أنها لا تنتمى الى شىء قائم هنا أو قائم هناك وحين تنطبق على كل شىء فانها لا تنطبق بصورة خاصة على شىء » .

أما أن مبدعات كبار الفنانين والعباقرة ضرورية كنماذج للتمثل والسير على هداها وكآيات على مدى ما يمكن أن يبلغه الكمال الانسانى فى عالم الفنون . فتلك ضرورة حيوية سواء بالنسبة لمعرفة الدلالة الحضارية والتاريخية لتطور الفن أم بالنسبة لتعلم الفن ذاته . . ذلك لان الفنان لا يخلق من فراغ والفن لا يأتى من عدم .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الفن حياة ،  
وحياة الفن تاريخ وأطوار .. والتاريخ وجود متصل  
وزمان متواصل لا يفهم لاحقه بغير معرفه سابقه ، ولا يدرك  
لاحقه بغير أن يحيا الانسان ذلك السابق أو الماضي ..  
ومن هنا تصبح آثار الخالدين من الفنانين آيات استهداء  
واستلهام وتمثل . وتبقى بعد ذلك - وقبل ذلك - حرية  
الانسان في الانطلاق في عالم المبدعات والتكوينات .

ولذلك فإن على الفنون الاسلامية أن تضع أمامها هذه  
الدرجة الأولى من المقياس الأول . تضعها متوافرة ظاهرة  
سماتها فيما تترك من آثار وأن تكون عارمة في الحس  
التذوقي للفنان فلا تغيب عن تصوره قبل الابداع ولا تشذ  
عنه خلال عملية الابداع ذاتها .. وتلك الدرجة من المقياس  
كما ذكرنا هي أن يكون الفن دعوة الى سبيل الله بالحكمة :  
« ادع الى سبيل ربك بالحكمة » .. وسبيل الله هو سبيل  
الحياة كأشمل ما تكون وأعرق ما تكون وأعظم ما تكون ..  
فلا كبج ولا ارغام ولا استهانة قاتلة بالذات الانسانية ..  
لكنما الوجود كله بسمواته وأراضيه ، بأقطاره كلها  
وظواهره كلها مفتوح الابواب للذات تفتن حسبما تشاء وتبدع  
كيفما تشاء فتأتي بآيات فنها وابداعها صورة وأنشودة  
ولحنا وتمثالا .. فإن خلقت الذات بخيال خصيب منطلق  
بين أقطار السموات والأرض وهي واعية بأنها تخلق في  
سبيل الله وبين آيات الله .. وهي واعية أيضا بأنها بالفن  
أنما تشارك في سموم مجتمعتها وأمتها فتستخلص باللمحة

المحكمة من بين مضطرب الناس وأحوالهم ومن بين آمالهم  
وما يقاسونه ويحنملونه : فلا سبيل اذن الى التبعية أو  
الامعية ولا سبيل كذلك الى التحجر الذى يؤدى الى نضوب  
الشعور وجفاف الذوق وانحراف التقدير . .

وليسست درجة الحكمة وحدها هي ما يجب أن تكون  
عليه الفنون الاسلامية ، وليس مقياس الحكمة هو ما يجب  
أن تقاس به الفنون جميعها . . انما هناك درجة ثانية  
تقاس بها نوعية أخرى من الفنون ، فاذا كان من الفنون  
ما ينبغى أن نكون دعوته في سبيل الله تعبيرا عن الحكمة  
فان منها ما ينبغى أن يكون تعبيرا عن موعظة حسنة .  
فكيف تقاس الفنون بمقياس الموعظة الحسنة ؟

ان هذه الدرجة الثانية أو هذا المقياس يبدو غريبا  
عند بعض الناس وربما عدوه اعتسافا ما يجدر بالفنون  
أن تنضوى تحته أو تقع في دائرة حسابه ، فهو بالواعتظ  
أجدر وأليق . . أما الفنون فلها شأن آخر أو مقياس آخر .

ولأزالة هذا الوهم أو هذا الاشفاق فائنا نقول : ان  
الفنون جميعها تقبل في جانب منها مبدأ الموعظة الحسنة . .  
وان بعضها ليقوم أساسا على مبدأ الموعظة الحسنة وان  
غلبت عليه أو سادته طبيعته الفنية . فالفن المسرحي  
مثلا - أو التمثيل بعامة - ينطوى بين ثناياه أو تضاعيفه  
على مواعظ منشورة هنا وهناك وان لم يقصد المؤلف الى ذلك  
قصدا .

فالتراجيديا أو المأساة هي في صميمها موقف انساني من الحياة يشتجر فيها الصراع ويحتدم النزاع وتختلط الغايات والمذاهب كما تختلط الوسائل التي يصطنعها الناس في صراعهم .. وهم في ذلك الصراع يكشفون عن نفوس متفاوتة في أخلاقها ، ومتناقضة في نظراتها للحياة وتقديرها لها وما ترجوه منها . ومن خلال الصراع المأساوي المتمثل في الحوار والذي يعطى بحيويته الصادرة من تطويع اللغة لتصوير الانفعالات النفسية تصويرا حيا صادقا قادرا على استثارة المشاعر والخيال والفكر وقادرا على تجسيد أحداث الحياة وتحركاتها .. من خلال ذلك الصراع تتضح لنا طبيعة رؤية الفنان للموقف المأساوي الذي وقع عليه اختياره فاتخذ منه مادة لعمله .

وبهذه الرؤية نستطيع أن نحكم على موقف الفنان من الحياة في عمومها من خلال الموقف الجزئي الذي اختاره .. وهو قد لا يلقي بموعظته صريحة على ألسنة شخصه وقد لا ينطق أفواههم بحكمة بالغة سواء آكانت حكمة غالبية أم حكمة مغلوبة : حكمة القوى الذي لا يؤمن بغير القوة ، أم حكمة الضعيف الذي يعتصم بالنقية والحذر ، أم حكمة النهاز المنافق .. قد لا تنطق الشخص بـالموعظة صريحة ولكن أحداث المأساة وتطوراتها تعطي أحكام المواقظ وأبلغها فيدركها المرء بوعيه فتفعل بوجدانه وضسميره أكبر مما تفعله ألف حكمة صريحة .

ثم تبقى الغاية من تصوير الصراع وازاء ذلك تعدد  
الغايات وتتناقض المقاصد ..

وهنا يأتي دور المقياس الاسلامي ليحدد موقفه من  
المأساة بالنظر الى موقفها من المجتمع وآثارها التي يمكن  
أن تخلفها فيه .. فمن المآسى ما يستعيرها أصحابها من  
الفكر الغربى ، يستعيرونها بما فيها من صراعات تدفعها  
ومذاهب تحركها وتعطيها مسارها العام .

ووجه الخطورة هنا هو أن المأساة قد تنقلب من موعظة  
كانت تتسق ومجتمعها الذى انبثقت منه الى فتنة تهدد  
الكيان الاسلامى فى بنائه النفسى والفكرى .. ولا غضاصة  
فى الاستعارة ولا خوف منها غير أنها حين تصبح استعارة  
للأفكار والمذاهب فإنها تنقلب بغير أن يدري أصحابها الى  
أبواق تنذر بأوخم العواقب أو الى آفات تفتك بأركانها  
وعنده التى يقوم عليها .

وربما غفل أصحاب الاستعارة أو الاقتباس عما يعملون  
وعما قد يؤدى اليه عملهم أو فنهم الذى يقدمونه . فمن  
المؤلفين من يكلف بمذهب سياسى معين لا يلتقى مع الاسلام  
على شىء ولا يلتقى معه فى شىء .. فهو يسخر المذهب  
السياسى وهو فى ذلك يتراوح بين الشطح فى التصور  
أو الاغراق فى التشاؤم أو الترويج لما يريد ترويجه  
وآثاره ، متخذاً من طوائف المجتمع وطبقاته مادته التى  
يصطنعها فى ابداع المأساة أو اختلاف المأساة .

وربما كانت المأساة فكرية تجسد اصطراع الانسان  
مع قوى الشر والبغى . . وربما صور المؤلف هذه القوى  
على أنها قوى غيبية لا حيلة للانسان فيها ، لا حيلة له الا  
أن يرضخ ويستسلم . . وقد تشير هواجسه وظنونه فيظن  
أنه لعبة فى يد مقادير تعبت به عبثا جنونيا . .

وربما انتهت به الظنون الى الانكار والتعطيل الذى  
قد يؤدى الى تشاؤم انحلالى فى الأخلاق والآداب . . ولكن  
مثل تلك المآسى التى قد يقال عنها انها مآسى فكرية أو  
مآسى وجودية تصور صراع الانسان من أجل الانعتاق من  
ربقة الدين أو من ربقة العقيدة . . هذه المآسى لا تفعل  
شيئا سوى أن تبقى على السؤال الذى حيرها وهو :

هل هذه المآسى تغنى الحياة بما تقدمه ؟

أهى تغنى حياة الفرد فلا انكار ولا تعطيل ؟

أهى تغنى حياة الفرد فلا فكر مجرد من الحياة  
والمضمون الوجودى للخلق والتشديد ؟

أهى تغنى الانسان فلا ينزع به الفكر الى عزاء  
اللامبالاة أو عزاء التشاؤم والبائس اليائس ؟

هل هذه المآسى تحيى فطرة الحب فى الانسان ، والحب  
تعاطف وتآصر وتواد ؟

هل هذه المآسى تبعث فى الانسان والناس أجمعين

فطرة التفاؤل قوية راسخة فينهمضون للعمل والتصحيح  
والبناء ؟

هل هي تبعث في الانسان نزعة انسانية شمولية ؟

ان من شأن التعبير الفني كما يقول جون ديوى :  
« أن يضرب على الحواجز التي تفصل الموجودات البشرية  
بعضها عن بعض . ولما كان الفن هو أشمل صورة من صور  
اللغة ، بل لما كان قوام الفن - حتى اذا تركنا الأدب  
جائبا - هو الكيفيات العامة للعالم المشترك فليس بدعا أن  
يكون الفن أكثر صور الاتصال كلية وحرية .

والحق أن من شأن أية خبرة حادة من خبرات الصداقة  
أو المحبة أن تكمل ذاتها بطريقة فنية . وقد يتخذ الاحساس  
بالمشاركة الذي يولده لدينا العمل الفني صبغة دينية  
حاسمة . . وان اتحاد البشر مع بعضهم لهو الأصل في  
ظهور الطقوس التي عملت - منذ العهود السخيفة للانسان  
القديم حتى وقتنا الحاضر - على احياء ذكر أزمات الولادة  
والموت والزواج - والفن انما هو امتداد لقوة الطقوس  
والاحتفالات على توحيد الناس - ومن خلال التمجيد  
المشترك - الى سائر أحداث الحياة ومشاهدتها - وهذه  
المهمة هي جزاء الفن أو مكافأته من جهة وهي خاتمه أو طابعه  
الخاص من جهة أخرى . وانه لمن الحقائق المعروفة أن الفن  
يزاوج أو يؤلف بين الانسان والطبيعة . . ولكن من شأن



الفن أيضا أن يشعر الناس بما يجمع بينهم بعضهم الى بعض من وحدة الأصل ووحدة المصير » . .

ولذلك فاننا نقول : على أية شرعة يجب أن تلتزم المآسى فى الايحاء للانسان بأن يدبر حياته ومجتمعه وأمته ؟

أفان قامت لتحقيق هذه المعانى على أساس من شريعة الحق سبحانه ، وبروح من هدى القرآن فانها تكون بغير شك محققة للدرجة الثانية من المقياس الأول ، ونعنى بها درجة : « الموعظة الحسنة » ، نصبا وروحا ، شكلا وموضوعا . . وكانت المأساة على هذا المنهاج جديدة بأن تكون فنا اسلاميا أصيلا . .

واذا كان للموعظة الحسنة أن تأتى فى اطار المأساة فانها أيضا يمكن أن تأتى فى اطار الملهاة أو الكوميديا . . وفى الكوميديا تكثر وجهات النظر وتتعد المقاييس تبعا لذلك . . ومن المعروف أن الطابع العام للكوميديا هو الحوار الفكاهى الساخر الذى ينشأ للتسرية والتسلية والاضحاك . .

والسخرية لا تكون من موضوع واحد يبعث عليها ، ذلك لأن السخرية ضروب وأنواع فما من موقف من مواقف الحياة الا وهو داعية الى السخرية . . وما من قضية من قضايا الوجود الا ويمكن أن تكون محركة لنزعة الضحك والغمز واللمز . .

ألم تكن حركات التحرير هدفا لسخرية المتسلطين  
الظالمين ؟ ألم تكن رسالة الأنبياء والمرسلين هدفا لسخرية  
الكافرين والجاحدين ؟ ، بلى ، قال سبحانه : « ان الذين  
أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم  
يتغامزون • وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين • وإذا  
رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون » ( ٢٩ : ٣٢ سورة المطففين ) •

فالضحك فطرة انسانية واصطناع وسائل التعبير عن  
هذه الفطرة عمل اكتسبه الانسان من أزماته ومشكلاته  
التي عاناها ومر بها • • وحتى ان لم تكن هناك مشكلات  
فإن الفكاهة تبقى - كتعبير فني - من أعمال الانسان التي  
تزداد مع الأيام اتقاناً في التأليف وبراعة في البناء •

وإذا كان الضحك فطرة انسانية مغروزة في أصل  
جيلة الانسان وكيانه فانها بذلك تكون امكانية مواقف أى  
امكانية تتحقق فى حيز المواقف التي تثيرها وتبعث اليها • •  
ومعنى ذلك أنه لابد من توافر ثلاثة عناصر أساسية لكي  
تقوم الفكاهة ، وهى :

**أولاً : أن تشبع فطرة الضحك • •**

**ثانياً : أن تواجه الموقف • •**

**ثالثاً : أن تكون صادقة فى معالجة الموقف لأنه تحقيق  
وجودى لعمل انسانى • • وما لم تفهم الفكاهة على هذه  
الأسس • • وما لم تتحقق هذه الأركان الثلاثة فى أى عمل  
فكاهى أو كوميدى فإن الكوميديا تصبح تهريجاً وعبثاً •**

ولقد كانت اجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
على صحابته رضوان الله عليهم ابلغ دلالة على الحاجة الى  
الفكاهة وعلى ضرورة أن تكون الفكاهة صادقة وحقة ..  
فقد قالوا له : « انك تداعبنا ، فقال : واني وان داعبتكم  
لا أقول الا حقا » ..

ومن مواقف المداعبة الحقة ما روى من أن عجوزا أتت  
النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له يا رسول الله : ادع  
الله لي أن يدخلني الجنة ، فقال لها : « لا يدخل الجنة  
عجوز » .. فبكت ، فقال : « انك لست عجوزا يومئذ »  
قال الله تعالى : « أنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا » ..  
ومن هذا المنطلق ، منطلق الحق ينبغي أن تصدر  
الكوميديا كعمل فني متكامل في بنائه حسب الأصول  
التقليدية - أو ما يمكن أن يستحدث من طرائق - في تأليف  
الروايات الكوميدية ..

واذا كانت مشكلات الناس في دوائر أعمالهم ومجالات  
شغلهم واهتمامهم هي المصدر الذي لا ينضب لكل أنواع  
الفنون فان الكوميديا تحظى بنصيب ربما زاد على نصيب  
فن المأساة .. ومن ثم كان خطر الكوميديا عظيما ولذلك فانه  
لكي تصبح الكوميديا عملا فنيا له وزنه وتقديره فانه لمن  
الضروري أن تكون « موعظة حسنة » .. فنتناول مشكلات  
الناس تناولاً فنيا مترفعا عن السطحية والغوغائية حتى  
تضمن الانطباع الكوميدي الصادق في نفوس الناس ..  
ويكفي أن يجسد المؤلف المشكلة في بناء كوميدي يثير

المشكلات ويفجر المتناقضات بغير أن يقدم جلا أو مخرجا ..  
يكفى هذا تنبيهها وتذكرة مع الصدق في القصص والعرض  
لكي يكون العمل صادقا أصيلا ..

والصدق لا يعرف مجون التهريج .. والحق لا يعرف  
الاستخفاف بعقول الناس .. والتصوير الكوميدي للأحداث  
قد ينجح الى المبالغة ، ولا خرج في المبالغة اذا قصد بها  
التنبيه على الخطر ..

والتجسيد الكوميدي قد ينجح الى الاغراب ولا جناح  
في ذلك أيضا ، الا أن يكون الاغراب ضربا من السخف  
الذي يمجّه الذوق ويزدريه الخيال ..

وسواء في المبالغة أو الاغراب لا يجدر استرضاء  
غرائز الجسد عند الناس بالألفاظ الفاحشة ، وما أسهل  
ايراد الألفاظ الفاحشة المسفة في مجال الكوميديا .. لكن  
اذا ترفع هذا الفن عن الألفاظ البذيئة النابية والحركات  
البذيئة النابية ، هذا مع مراعاة المبادئ الثلاثة التي  
ذكرناها آنفا وهي : اشباع فطرة الضحك .. ومواجهة  
الموقف ، والصدق في مواجهة الموقف ، فماذا يبقى اذن  
سوى أن تكون الكوميديا موعظة حسنة ؟

**ولقد يسأل بعض الأحاد :** أو يمكن أن يطبق مقياس  
« الموعظة الحسنة » على فنى الموسيقى والتصوير ؟  
واذا صليح تطبيقه فهل يمكننا اذن أن نقول بموسيقى  
اسلامية وتصوير اسلامي ؟

**ونقول : نعم :** هناك ويجب أن يكون ، رغم أن البعض قد يستغرب هذا القول وربما استخف به .. فما من ريب في أن لكل وطن أو مجموعة اقليمية من الأوطان المتقاربة في أصولها وعروقتها تمايزا موسيقيا تعرف به .. فالموسيقى الشرقية لها طابعها الذي تتفرد به ومع ذلك فإننا نستطيع أن نفرق بين الموسيقى العربية المصرية والموسيقى الهندية وكذلك الروسية . وذلك ما نجده أيضا بالنسبة للموسيقى الغربية والألحان الكنسية الغربية .

وإذا كان هذا هو شأن الموسيقى الشرقية والغربية أفلا يكون اذن سببا في أن تكون لدينا موسيقى اسلامية تتميز بالطابع الاسلامي ؟ بلى ، ولعل التواشيح الدينية وبعض المقطوعات الموسيقية الدينية تكون بداية صالحة لوضع أساس لموسيقى اسلامية .. على أنه يجب أن نضع في اعتبارنا أننا حين ندعو الى موسيقى اسلامية فإننا لا نقصد الى وضع الموسيقى في القوالب التقليدية التي عرفت بها أغانينا وتواشيحنا الدينية ..

اننا ندعو الى أن تكون هناك لمسات اسلامية تشيع في اللحن الموسيقي ثم ترتفع بسماتها الاسلامية لتعبر عن المشاعر الانسانية والأحلام الانسانية والذكريات الانسانية متسامية على العبث الجنوني والهوس الاخرق الذي يفسد المشاعر ويضل الأحلام ويخرب الذكريات ..

**ونفس هذه الدعوة نرجوها للتصوير : فليستخدم**

المصور ما يفضله من طرائق التصوير ومذاهبه .. أما أن  
يسخر فنه فيجعله مسخاً شائها لجوعات الجسد أو يجعله  
تعبيراً عن حقد طبقى يثير ويدمر ، فلا ينشئ علاقة حياة  
أو يحض على علاقة اخاء ، أو يجعله دعوة الى الخنوع  
والاستكانة فيحجب اليهما بما يقدمه من ألوان وأفكار ..  
كل ذلك ليس من الموعظة الحسنة فى شىء .. والموعظة  
الحسنة حياة واحياء .. ودعاء قنوت لبارئ الأرض  
والسما .. أما الدرجة الثالثة من المقياس الأول الذى  
نقيس به الفنون فهى قوله تعالى : « وجادلهم بالتى هى  
أحسن » ..

ولقد قلت فى مستهل هذا المقياس أن الدعوة فى  
سبيل الله حوار ، وقد يكون الحوار بين الفنان والناس ،  
وقد يكون بينه وبين أعماق ذاته ، وربما كان بينه وبين  
الطبيعة بطواهرها وأحوالها .. والفنان فى هذا الحوار  
المتعدد فى شكوله اذ ينشئ فنونا من التعبير ينبغى أن  
يكون معياره فى الحوار قوله تبارك وتعالى : « وجادلهم  
بالتى هى أحسن » .. فالحركة تكون نابضة بالحياة عامرة  
بالمشاعر والأحاسيس تعنف فى موقف العنف والزجر ،  
وتلين اذا اقتضى الموقف لنا ومصانعة .. وتعمر الظلال  
والأضواء بالفكر يتهاذى بين المناظر فى حياة يغرى بالنظر  
ويحجب المشاهدة والتأمل . فلا يصدم الوجدان بحدود  
الصراحة الفكرية فتتبدد النفحة العاطفية التى هى قوام  
الابداع الفنى والتأمل الفنى .. وذلك كله بغير اسفاف

أو مغالاة أو ارتفاع فوق مستوى العقول والأذواق بحجة التعبير الذاتى المتعالى على دنيا الناس ..

نعم ، ويبقى ما ينطوى عليه الضمير من وراء العرض الظاهر للفنون ، يبقى أمانة يسأل عنها الفنان أمام الله سبحانه .. وهذا هو صمام الأمان الذى يحمى من الزيغ وراء نزغات الضلال والاضلال وما أكثرها فى عالم الفنون ، يقول سبحانه : « ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » ..

### المقياس الثانى :

أن يكون الفن اذكاء لمشاعر الناس وأفكارهم واصلاحاً لأحوالهم ومنافعهم .. يقول سبحانه : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال للناس » ( ١٧ سورة الرعد ) .

ولقد يقال ان هذا المقياس نفى فهو من ثم يقدر الفن أو الأثر الفنى بما يأتى به من أمثال أو بما يحققه من أرباح وذلك يؤدى الى التدهور فى أصالة الابداع الفنى فتتجه الفنون الى السوقية والابتذال ومخاطبة غرائز الجماهير وأهوائهم ..

ونبادر فنقول : ان المنفعة مطلوبة والسعى الى طلب الرزق فريضة والتمتع بالحياة واجب لا يبغض فيه ..

فهى - أى متع الحياة - من أسس العمران والاجتماع ،  
يقول سبحانه : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده  
والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا  
خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون »  
( سورة الأعراف ) ٠٠ .

قالضابط اذن أن المعيار القويم هو الايمان بالله ،  
والايمان بالله جمال ووضوح ورصانة ٠٠ أما قوله سبحانه :  
« وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ، فهو يمثل  
أحكم الضوابط وأبعدها أثرا فى اثراء حياة الناس واثراء  
الفنون ٠٠ قالفنون ينبغى أن تكون لنفع الناس لا لنفع  
طبقة أو عصابة ، فليس ها هنا شح حقود أو أنانية ٠٠  
ولكنه تفتح وحب للناس أجمعين . وهذا يؤكد عنصر  
الشمول الذى يجب أن تتضمنه الفنون ، أى يجب أن  
توحى بما يجمع بين البشرية من وحدة الأصل والمشاعر  
والمصير ، وبذلك تزكو عواطف الناس وتتأصل ارادتهم  
فلا تقهرهم المحن فتفقدهم الثقة فيمن حولهم وما حولهم ٠٠  
وربما أفقدتهم الايمان بخالقهم وتلك هى المحنة الكبرى .

### المقياس الثالث :

ضرورة الالتزام ٠٠

يقول سبحانه : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم  
ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة



فينبئكم بما كنتم تعملون » ( ١٠٥ سورة التوبة ) . .  
ومقياس الالتزام مقياس متهم عند الكثرة الغالبة من  
المفكرين فهم يرون فيه نوعا من الارغام على اتباع مذهب  
معين من مذاهب السياسة أو الاجتماع . وسواء أرغم  
الفنان على الالتزام أو الزم هو نفسه اعتقادا واقتناعا فاند  
ذلك من شأنه أن يجعل نظرته قاصرة عن أن تتشوف الى  
ما بعد الحدود التي رسمت له أو الى ما وراء الأفق الذي  
يجوز له أن يتخطاه .

وفى ذلك اضعاف للملكة الخلق والابداع واضلال  
للبصيرة الفنية عن أن ترى الرؤية الصادقة فتسجل رؤيتها  
عملا فنيا رائعا خالدا . . أما الاسلام الحنيف فانه يقدم  
الآية السابقة كمقياس للالتزام وكمقياس تقاس به أصالة  
الفنون . فهو يحيط العمل بضوابط من الايجابية المطلقة  
وذلك بأن جعل الانسان مسئولا عن عمله مسئولية كونية -  
ان أجز هذا التعبير - أى ملتزما بأداء عمله على أكمل  
ما يكون وأصل ما يكون . . وفى حدود طاقته بطبيعة  
الحال .

وهذه المسئولية الكونية أو هذا الالتزام الكونى  
شمولى بكل معانى الشمول . . فالانسان مسئول أمام الله  
قبل كل شئ ومسئول أمام قائد الأمة ورائدها ، ومسئول  
أمام المؤمنين أى المجتمع بأسره . فاذا بلغت مسئولية الفنان  
هذه الدرجة فان آثاره تصبح كفاء هذه المسئولية أى تصبح  
كونية خالدة يتأثر بها الفرد والجماعة والبشرية .

اذن أفلا يكون ذلك حافزا لعبقرية الفنان لكي تبدع  
وتأتى بالروائع التى تسعد وتحيى وتعاطف بين الناس ؟

أفلا يكون ذلك اطلاقا لحرية الفنان حتى تحلق فى  
أعمق الجواء وأسمائها بدون أن تخشى بأسا أو رهقا ؟

### أنه نوع فريد من الالتزام .

الالتزام يحرر الفن من قواعد الجمود . .

ويحرر الفكر من اسار التقاليد . .

ويحرر العواطف من سيطرة الشهوات المدمرة . .

وتبقى بعد ذلك مسئولية الفنان التزاما يحاسب  
عليه : « وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما  
كنتم تعملون » . .

فلننظر الى الفنون فى ضوء هذا الالتزام القرآنى  
ولنقوم كلا منها على أساسه فان استقام واياها ، فأحيا مشاعر  
الايمان و ارادة العمل فى الانسان فكأنما قد أحيا الناس  
جميعا . . وان كان على غير ذلك فقد وجبت المراجعة  
والمحاسبة . .

هذه المقاييس الثلاثة هى التى نراها ضرورية فى  
مراقبة الفنون الاسلامية فنحاسب الفنان على أساسها  
ويحاسب هو ذاته على أساسها عند الابداع والانشاء .

## حدود الرقابة

واذا جاءت المقاييس على هذا النحو من العمق والشمول .. واذا جاءت على هذا النحو من التأثير في الفنون .. فكيف تكون الرقابة اذن ؟

هل معنى ذلك أن ليس للرقابة حدود ؟

هل معنى ذلك أنها تندفع بغير هوادة أو رحمة تفند وتلغى ؟

أم تندفع في الترويج لمذهب من المذاهب غير عابئة بما يجره من مشكلات ؟

ان المقاييس الاسلامية التي جئنا بها من القرآن الكريم هي بطبيعتها التي تضع حدود الرقابة على الفنون ومع ذلك فاننا نأتي من القرآن بما يجب أن تكون عليه حدود الرقابة ..

فالقاعدة العامة للحدود هي قوله تبارك وتعالى :  
« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

**ويكون الرسول عليكم شهيدا » ( ١٤٣ سورة البقرة ) .**  
وفرق بين الحدود والقيود ، فالحدود ضوابط تنظم للفنان عمله وتقيه سقطات الجموح أو الجمود . . أما القيود فأنها تحول دون انطلاق الفكر والخيال الى الخلق والابداع فتحبسهما في قوالب متحجرة فارغة من الحس والحياة . . ان القيود احكام نهائية لا سبيل الى ردها أو الممارسة فيها وذلك أمر خطير بالنسبة للرقابة على الفنون وبالنسبة لحياة الناس الذين يشاركون في الابداع الفني بصورة أو بأخرى . . وهذا ما نبه اليه جزن ديوى فهو يقرر : « أن الحكم حين يكون قضائيا أو حين يكون من شأنه أن يقطع في الأمور قطعا جازما فانه عندئذ انما يغلق السبيل أمام تجدد الطبيعة البشرية على العكس من ذلك الحكم الذى ينمو ويتطور في مضمار الفكر كادراك واع قد تحقق بنفاذ وعمق . .

**والخبرة الأصلية الوافية ليست بالامر اليسير الذى يسهل الوصول اليه بل أن تحصيلها لهو معك لقياس الحساسية الأصلية ( أو الفطرية ) ومدى نضج الخبرة من خلال الاتصالات الواسعة . هذا الى أن الحكم من حيث هو فعل نضطلع فيه بالبحث المحكم المضبوط انما يطلب حصيلة ثرية وبصيرة منظمة وانه لمن الأيسر لنا أن « نخبر » الناس بما ينبغي لهم أن يؤمنوا به عن أن نعى أنفسنا بمهمة التمييز الوحيد . . ولا شك أن الجمهور**

حين يعتاد هو نفسه أن يتلقى أحكامه بدلا من أن يدرب  
على البحث التأمل فانه عندئذ سرعان ما يؤثر طريقة تلقي  
«الأحكام» ..

فحدود المقاييس ينبغي أن تكون وسطا فاذا كان  
الفن ينادى بالعقل والتعقل فيجب أن تكون للصبيغة  
العقلية حدود .. فتكون العاطفة متكاملة مع العقل فلا  
يطغى أحدهما على الآخر ، و لا يستأثر أحدهما باخراج  
العمل الفني الى واقع المجتمع .. ذلك لأن العقل اذا طغى  
انقلب العمل الفني الى قضايا منطقية تصرف العين - أو  
الأذن - عن متابعة المشاهد وتزهم النفس عن التمتع  
بجمال الحياة .. والفنون جميعا تعبير عن الاحساس  
بالحياة وبجمال الحياة ..

وكذلك العاطفة انها اذا طغت على العقل أصبح  
العمل الفني دعوة جامحة الى التطرف في أخذ أسباب  
الحياة فلكل امرئ أن يترك نفسه لتلقائية الغرائز فيفعل  
ما يشاء كيف يشاء .. بل ان في طغيان العاطفة تضییع  
معالم الحقيقة وسط الجموح الانفعالي الذي يلف ملامح  
الأثر الفني بضبابه وذلك هو الغموض الذي يحير ويشكك  
.. بل ويفقد الأثر وجوده وحدوده ووجهته ولو في  
الخيال ..

واذا كانت مقاييس الرقابة الفنية تدعو الفنان الى  
تجسيد النواحي الجمالية من الحياة فيكون عمله محيا

للالرادة والفكرة باعثا للنفس أن تأخذ بنصيبها من الحياة فإنه ليجدر ألا يصبح الأمر دعوة الى الترف .. فالترف باب الانحلال بل هو السبيل الى « استيراد » فنون التعبير الجمالية التى تضرم أشواق الحواس ، فاذا أوطار الجسد هى محور التفكير والتخيل وهى واقع الناس الذى يحيون له ويزينون له ، يقول سبحانه : « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ( ١٦ سورة الاسراء ) ..

وهناك علاقة وثيقة بين أن يكون الفن مصورا لحياة المترفين العابثين وبين نزعة الحقد التى يمكن أن تسترلى على نفوس المستضعفين نتيجة لما يشعرون به من مرارة الفاقة والحرمان .. وقد يقال أن الفنون التى تصور دنيا المترفين تثير فى الكادحين نزعة الثورة من أجل حقوقهم وكرامتهم ولكن ذلك أبعد ما يكون عن الصواب .. إنها لا تثير سوى الحقد المستسلم الخانع ذلك لأنها - أى فنون الترف - لا تقدم سوى عالم المترفين - وهو عالم التفاخر والخيلاء - وكأنه قدر لا حيلة فى دفعه ولا رجاء فى تغييره واذا كانت الفنون فى عمومها دعوة الى الحب والتآلف أو التعارف .. واذا كانت أيضا دعوة الى العمل والنضال فينبغى من ثم ألا تنقلب دعوة التآلف الى مصانعة ولا دعوة الصفح الجميل الى نفاق .. ولكن على الفنون أن تكون تمثيلا للاحاساس بالجمال ..

والجمال حق وخير . . فهو لا يعرف الممالة أو  
المدارة . .

وهذا من الحدود التي يجب على كل فنان أن يلتزم  
بها ؛ يقول سبحانه : « ان المنافقين يخادعون الله وهو  
خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس  
ولا يذكرون الله الا قليلا » ( سورة النساء ، ) . .

ولقد قلنا ان الاسلام لا يحجر على عواطف الناس  
فيبغض اليهم الجمال ، ويستنكر الفكاهة الحلوة ،  
ولكنه يبيح - بل يفرض - كل ما يحيى في الانسان نضرة  
الحياة ويفتح لقلبه آفاق الوجود ويجعل عمله أصيلا  
راسخا يمكث في الأرض فينفع الناس . .

ومن هنا كان شرطه وحده ألا تكون الفنون دعوة الى  
العبث والمجون ؛ والعبث صنوف وصنوف : فهناك عبث  
السياسيين بوعي الجماهير ومستقبلها ، وهناك عبث  
المذاهب الفكرية بعقول المثقفين . . وهناك عبث الشعراء  
والموسيقيين والكتاب . .

ولذلك ، ولخطورة العبث على ثقة الناس فيما حولهم  
ومن حولهم وما يمكن أن يحدثه من فتن وأرزاء فان القرآن  
يحذر من العبث ويذكر بخطورته في نفس الآن ؛ يقول  
سبحانه : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم اليثا  
لا ترجعون » ( سورة المؤمنون ) . .

وانه لعبث من العبث ومجون من المجون أن تكون  
الفنون دعوة صريحة الى الفحشاء والمنكر ، اما تقليدا لفنون  
« مُستوردة » من « الخارج » لا تراعى تقاليد الأمة الاسلامية  
ولا أخلاقها ومبادئ دينها وشريعتها .. واما صدى  
لنفوس مريضة أذلتها عقد قديمة أو انحرافات أخلاقية  
غائرة في سواء الضمير ..

وهنا لا بد أن يكون الحد الذي يقف عنده الاقتباس  
من فنون الغرب ، وأن يكون الحد الذي تقف عنده أهواء  
النفس ، صارمة .. فلا محاباة ، ولا مجاملة ، ولا مهادنة ،  
يقول سبحانه : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في  
الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم  
وأنتم لا تعلمون » ( ١٩ سورة النور ) ..



**ولمن تكون الرقابة ؟**

**ثم يأتي السؤال الأخير**

من ذا يكون له حق الرقابة على الفنون الاسلامية ؟

من ذا يكون له الحق فى مراقبتها حتى لا تنحرف ..  
فاذا انحرفت كان له - بل عليه - أن يعيدها الى الطريق  
بالوسيلة التى يضمن بها تقويمها وعدم العودة الى جموح  
الانحراف ؟

من يستطيع ؟ أو من له الحق ؟

لقد أشرنا الى ذلك فى مستهل كلامنا عن الرقابة  
والنقد .. ونزيد الأمر ايضاحا فنقول : ان الرقابة أولا  
وقبل كل شئ انما هى للدولة ، فهى الحفيظة على سلامة  
الأمة وهى الرقابة على كل ما يتهدها أو يجور عليها .  
ومن ثم كان على الدولة أن تعين « هيئات » لها السلطة فى  
مراقبة الفنون ولها القدرة على مراقبة الفنون وأن تكون

ملتزمة بقوله تبارك ونعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى  
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم  
المفلحون » ( ١٠٤ سورة آل عمران ) . .

فالرقابة الفنية الاسلامية دعوة الى الخير . . والدعوة  
الى الخير فى عالم الفنون تقدير للجمال واشادة به وتشجيع  
عليه ، وحرص على ازكائه وانمائه . . والأمر بالمعروف  
توجيه وارشاد كما أنه دعوة الى الاطلاع على الفنون عند  
الأمم المتقدمة فنقتبس ما هو نافع لأمتنا ونطوع ما يتفق  
وأخلاقنا وتقاليدها ومستقبلنا . .

أما النهى عن المنكر فله عدة سبل : فقد يأتى تحذيرا  
مما يستهوى الأذواق ولا يعقب غير الفساد والانحلال . .  
وقد يأتى حذفاً والغاء ولما قد يؤدى الى الانحراف  
أو اشاعة الفحشاء والمنكر . . وليست الفحشاء هى ارتكاب  
جريمة الزنا أو التحريض عليها فحسب . . ولكن الفحشاء  
هى كل خروج على شريعة الحق سبحانه . فأولئك الذين  
يزينون للناس بالمسرحيات والروايات والتمثيلات مذهبا  
اجتماعيا يناقض الاسلام ويناهضه انما يروجون فحشاء . .  
ونقول مثل هذا عن الداعين لمذاهب أخلاقية أو بدع  
تحررية هى من الانحلال فى الصميم . . وحتى الذين  
يمالئون حاكما طاغية فيضعون من الأغاني والأناشيد  
والمصورات والتمثيلات ما يزيف حقيقته على الناس ،  
انما يروجون فاحشة . . وهكذا . .

فالرقابة على الفنون واجب الدولة عليها أن توليه  
غاية اهتمامها سيما ونحن في عصر حرب الفنون فيه أشد  
فتكا وأنفذ أثرا من الجيوش الجرارة . ولكن الى جانب هذه  
الرقابة العامة ينبغي أن تكون هناك رقابة خاصة . ونقصه  
بذلك رقابة النقاد على الفنون . أو رقابة الصحافة على  
الفنون . فالناقد رقيب وزيادة فعليه في نقده أن يكون  
يقظا واعيا لأساليب الإيهام والخداع ، وأن يكون يقظا واعيا  
التبيان نواحي الضعف والتهافت ، وأن يكون صريحا جادا  
لا يخشى في الحق لوما أو تهديدا . . حسب قوله تبارك  
وتعالى : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم  
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ،  
( سورة آل عمران ) . .

نعم ، وتبقى الفنون دعوة الى الحق والخير والجمال . .

والفنانون دعاة الى الحق والخير والجمال . .

والرقيباء حماة للحق والخير والجمال . .

مقياسهم وحدهم ومنهاجهم قوله تبارك وتعالى :  
« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم  
بالتى هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو  
أعلم بالمهتدين » ( سورة النحل ) . .

# فهرس

## الصفحة

مقدمة : الفن الاسلامى رسالة عالمية . . .	٣
الفصل الأول : الحلال والحرام فى عالم الفن .	١٧
الاحساس بالجمال . . مدخل الفنون .	١٩
حلال . . وحرام . . . . .	٤٥
الفصل الثانى : الرقابة على الفنون الاسلامية .	٦٧
بين الرقابة والنقد . . . . .	٦٩
مقاييس الرقابة . . . . .	٧٩
حدود الرقابة . . . . .	١٠٦
ولن تكون الرقابة . . . . .	١٠٦



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٢٦٧٩

ISBN. — ٩٧٧ — ٠١ — ٠٣٢٥ — x







رحله وجدانية في عالم الحق والخير  
والجمال من خلال الرؤية الإسلامية  
لجماليات الفنون ومقوماتها .

الكتاب القادم :

فلسفة المثل الشعبي

محمد ابراهيم أبو سنة

267